الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

المركز الجامعي بالوادي
– الوادي–

معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية
– قسم التاريخ –

الصراع العثماني الاسباني في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال فترة البيلربايات "1519–1587م"

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ

إعداد الطالبتين :
– مريم جديد
– نجلاء جراية

إشراف الأستاذ
– أحمد بلعجال

السنة الجامعية :2011 – 2012م

بسم الله الرحمان الرحيم

﴿ وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله ، فإن أنتهوا فإن الله بما يعملون بصير .

وإن تولوا فإعلموا أن الله مولاكم ، نعم المولى ونعم النصير ﴾

صدق الله العظيم

سورة الأنفال الآية (39 – 40)

كـــــلـــمـــة شـــــكـــر وعـــرفـــــــان

نرفع أسمى وأرقى عبارات الشكر

الى الله تعالى ونحمده على ما وهبنا إياه وعلى يسره لنا لنشق هذا الطريق لأنه كان الرفيق الأعلى لنا في كل ما أنجزناه.

أول ما نتقدم له بالشكر شيخنا الفاضل وأستاذنا المشرف "بلعجال أحمد"على توجيهاته لنا وصبره معنا حتى تخرج هذه المذكرة على أحسن وجه.

ونشكر كذلك كل من ساعدنا في انجاز هذه المذكرة خاصة الأستاذ "معمري حسن"و الأستاذ "بن موسى موسى" والأستاذ "المثردي السعيد" كما نشكر كذلك كل أساتذتنا في قسم التاريخ خاصة الأستاذ: "غرايسة عمار"

والشكر موصول إلى القائمين على مكتبة سيدي سالم و مكتبة احمد باي ومتحف المجاهد على مساعدتهم لنا.

كما لا ننسى أن نشكر صاحب مكتبة "المميزون" على مديد العون.

والشكر منا إلى كل من ساعدنا ولو بكلمة من قريب أو من بعيد ونتمنى

التوفيق للجميع.

نجلاء – مريم.

الاهداء

إلى أعظم ما ينطق به اللسان، وتتلفظ به الشفتان، إلى من يعتصر قلبها بالدفء والحنان. إلى من هي أقرب من النفس إلى نفسي ،إلى من سقتني برهفة وطيبة حس ،إلى مسكن الأمان و منبع الحنان و هبة الرحمان.....أمي الغالية "نجاة ".

إلى من كان لي مثالا في الصبر،ورمزا للعطاء، فأمدني بكل أسباب الإرادة القوية، إلى من زرع في فؤادي الخير ،وبث في روحي الأمل،، إلى من يكد ويشقى لأجل إسعادي ،ويسهر و يتعب لأجل راحتي ،ولم يبخل يوما ما في تعليمي أو تربيتي، فآثرني بكل ما أوتي من جهد أدامه الله و حفظه لي أبي العزيز"عزام".

إلى من شاركوني حياتي،وأهدوني بسمة كانت سر وجودي ،إلى من أحبهم كثيرا وأتوق لرؤيتهم إلى إخوتي الأعزاء شمس الدين ،كمال ،صلاح الدين ،عبدالروؤف، خالد،وإلى اختي الوحيدة "عواطف" والى من بث روح الحياة في بيتنا ،الكتاكيت الصغار: رياض،محمد رائد،وسيم،والدلوعة رنيم،ساجدة،أروى.

والى ابناء اختي، وإلى كل أهلي و أحبابي :أجدادي و جداتي ،أعمامي و عماتي ،أخوالي و خالاتي، و أبنائهم و بناتهم دون إستثناء

وإلى من شاركتني في انجاز هذا العمل المثمر الصديقة "مريم".

إلى الأوفياء الذين أحببتهم فأحبوني بصدق و إخلاص،

وإلى من عرف للصداقة معناها،فأعطاها حقها ووفاها ،أخواتي ورفيقات دربي:جهاد ،صبرين،اسلام،حياة،جمعة،خلوية،زهرة.

الى كل من علمني حرفا وقد صرت له عبدا .

وإلى كل من يعرف ويحب :«نجلاء»

الإهـــــــــــداء

أهدي ثمرة جهدي المتواضع إلى:

روح والدي رحمه الله

الذي توفي من دون أن يملأ عينه من ثمرة هذه الغرسة التي زرعها في أرض خصبة من العلم وفي جو نضر بالمعرفة وفي عالم مشرق بالفضائل.

إلى أروع وأعز ما في الوجود إلى الروح الطاهرة والقلب الحنون...

إلى من سهرت لأنام وتعبت لأستريح و شقيت لأسعد وكان دعائها لي سند،

أمي حفظها الله وأطال في عمرها

إلى من شاركني الحياة بكامل ألوانها ،إلى من سأرى بأعينهم الحياة والسعادة ، إخوتي:

بشير، طارق، عبد الرحمان، ياسين، وأخواتي كل واحدة بإسمها.

إلى الغالية العزيزة على قلبي، التي تقاسمت معها السراء والضراء لإنجاز هذا العمل **"نجلاء"** وكل عائلتها الكريمة.

إلى كل الأخوال و الخالات وأبنائهم وأخص بالذكر:**محمد الصالح و الطاهر**.

إلى كل الأعمام والعمات وأبنائهم وأخص بالذكر:**مسعود والصادق،أم الخير،باكة**.

إلى كل الصديقات:**أسيا، حنان، كريمة، أمنة،الزهرة**.

إلى كل من علمني حرف صرت له عبدا، أساتذتي الأفاضل.

إلى كل طلبة التاريخ دفعة 2012م وخاصة طلبة الفوج الأول

إلى كل من أعرفه و لم يكتبه القلم.

مـــــــــــريـــــــــم

تقديم الموضوع:

يعد الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط المنطقة صراع عبر العصور، فقد شهدت العصور القديمة صراعا قرطاجي- روماني، كما عرفت العصور الحديثة صراعا بين الإسلام والمسيحية، مثل طرفاه العثمانيين والاسبان، وقد بدأت بوادره منذ توحدت اسبانيا تحت قيادة الملك فرديناند والملكة إيزابيلا نهاية القرن الخامس عشر الميلادي، وكان من مشاريع هذين الأخيرين بعد سقوط أخر سرح للمسلمين في غرناطة 1492م هو التوسع على حساب سواحل شمال أفريقيا، رافعين شعار حرب الاسترداد، وقد صادف أن وجد الاسبان في شمال أفريقيا دويلات ضعيفة منهارة ومنقسمة على ذاتها، تتآكلها الصراعات الداخلية.

و لم تجد هذه المملكة الناشئة التي استولت على السواحل الجزائرية بداية القرن السادس عشر أي قوة تصدها عن مسعاها إلا قوة العثمانيين التي بدأت تظهر في سواحل البحر المتوسط بعد انتصار مرج الدابق 1516م على دويلة المماليك المصرية، فبعد هذا الانتصار ألح أهالي الجزائر (سكان جيجل ومدينة الجزائر) على العثمانيين من أجل الإسراع لنجدتهم وتحرير سواحلهم من قبضة النصارى الاسبان، وقد توج هذا الإستنجاد بدخول الجزائر (جزائر بني مزغنة) في كنف الدولة العثمانية، وأصبحت بذلك قلعة من قلاع الجهاد ضد النصارى المسيحيين، وساهمت في تحرير وحماية السواحل المغاربية من عدوان الضفة الشمالية للمتوسط.

وللإحاطة ببعض جوانب هذا الصراع الذي دار بين العثمانيين والاسبان خصوصا في بداياته الأولى، اخترنا فترة البيلربايات (1519- 1587م) التي شهدت تحرير أغلب السواحل المغاربية وتأسيس إيالة الجزائر 1519م. وقد عنونا بحثنا بـــ: " **الصراع العثماني الاسباني في الحوض الغربي للبحر المتوسط خلال فترة البيلربايات**".

أسباب ودواع اختيار الموضوع:

لقد كان وراء تطرقنا لموضوع الصراع العثماني الاسباني في الحوض الغربي للمتوسط عدة دوافع منها الذاتية ومنها الموضوعية، من بينهاالتعرف على وضع ومصير سواحل الحوض

الغربي للبحر الابيض المتوسط من هذا الصراع، وهذا ما دفعنا إلى إختيار الموضوع ودراسته ومعرفة.

إشكالية البحث:

من خلال تناولنا لهذا الموضوع حاولنا الإجابة على الإشكالية التالية: ما هي مراحل وأدوار ونتائج الصراع العثماني الاسباني في الفترة البيلربايات؟

كما طرحنا مجموعة من التساؤلات للإجابة عن هذه الاشكالية :ما هي العوامل المساعدة على التغلغل الاسباني بالمغرب ؟،وما هو رد فعل العثماني من ذلك وكيف كانت مراحله؟،ما هي الإنعكاسات المترتبة على ذلك؟

المنهج المتبع :

إتبعنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي وذلك في وصف أوضاع المغرب الإسلامي و المنهج التاريخي في دراسة الحملات الاسبانية التوسعية التي كانت أهمها حملة شارلكان على مدينة الجزائر 1541م ثم المنهج التحليلي وذلك في تطرقنا لإنعكاسات الحملات الاسبانية على المغرب العربي و المقارنة بين المصادر الأجنبية والعربية في ذلك.

صعوبات البحث :

من الصعوبات التي واجهتنا هي إشكالية الترجمة، كما واجهتنا مشكل أخر هو التضارب في التواريخ والأحداث في المصادر والمراجع ، بالإضافة إلى عدم حصولنا على بعض المخطوطات التي تتناول الموضوع.

وصف المصادر و المراجع:

باللغة العربية:من أهم المصادر والمراجع باللغة العربية

1- كتاب غزوات عروج وخير الدين ،لمجهول المؤلف ،تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر ، فهو يعتبر أهم المصادر .يعد الكتاب قيم لأننا إستفدنا به خلال موضوعنا لكنه لا يخلوا من المبالغات والإفراط في التفصيل كما لا يحتوي على التواريخ، كما أفادنا كثير عن أعمال الأخوين وما كان لهما أثر في السياسة الدولية في البحر الأبيض المتوسط، وعدد صفحات هذا الكتاب 128 صفحة .

2- كتاب حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا "1492-1792م" و من أثار الاستاذ أحمد توفيق المدني ،يعد الكتاب قيم بحيث يغطي فترة من تاريخ الجزائر الحديث وبعض جوانب من تاريخ تونس وطرابلس الغرب وأنه يتحدث بالتفصيل على الفترة الصراع العثماني الاسباني على الجزائر وتونس وطرابلس الغرب كما انه غير معتمد على تهميش ويضم 494 صفحة .

3- مجلة الاصالة : مجلة تاريخية ثقافية تحتوي على عدة مقالات تاريخية تشمل أحداث بارزة لها صلة بالموضوع لهذا استعنا بها في الاعداد 26-27.

ب- باللغة الفرنسية:

تاريخ ملوك الجزائر (Histoire Des Rois d'Alger)، الذي ألفه الراهب دييقو دي هايدو ، الذي كان أسيرا في مدينة الجزائر بين (1578 – 1581) . و يعد مصدرا هاما في تاريخ الجزائر خلال القرن السادس عشر ، و هو يتناول تاريخ الحكام الثلاثين الأوائل الذين تداولوا على حكم الجزائر ، بداية بعروج بربروس . غير أنه يبدو على مؤلفه حقده على العثمانيين و تقليله من شأن الجزائريين

خطة البحث :وقد تناولنا هذا الموضوع وفقا للخطة التالية :

الفصل الاول،حالة دول المغرب الإسلامي وظهور العثمانيين على السواحل المغربية تناولنا فيه أوضاع المغرب الإسلامي مع نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م و بينا كيف توسع العثمانيون في هذا الحوض ،كما أبرزنا كيفية تطور إسباني من دولة ناشئة إلى إمبراطورية موحدة للمسيحيين، والدوافع التي أدت به إلى احتلال الثغور المغربية،بالإضافة وصف هذه الحملات التي تنتهي بالاحتلال الفعلي لبعض الثغور مثل المرسى الكبير 1505م.

الفصل الثاني:أفردنا هذا الفصل بجهود الإخوة بربروس في تأسيس إيالة الجزائر،ابتداء من عهد عروج الذي حاول فتح بجاية سنة 1512م ،كما فتح جيجل 1513م ثم توالت محاولات الإخوة لفتح بجاية من سنة 1514م إلى 1515م ، كما تطرقنا إلى كيفية دخولهم إلى المدينة الجزائر ،ثم مقتل عروج في تلمسان بعد محاولة فتحها .ثم يليه دور خير الدين في تأسيس إيالة الجزائر ،الذي تحدثنا فيه على صد هجوم دييغوا منكادا كما انه حرر حصن البنيون من الإسبان1529م ،كما تصارع مع شارلكان على تونس في سنة 1534م.

الفصل الثالث: خصصناه للحديث عن حملة شارلكان ضد الجزائر عام 1541م، تحدثنا فيه عن دوافع هذه الحملة والأطراف المشاركة فيه، و الاستعدادات من الجانبين، ثم تتبعنا التطورات العسكرية لهذه المواجهة، والتي انتهت بهزيمة شارلكان وانسحابه، وما ترتب عن ذلك من خسائر في صفوف التحالف، ومغانم الجزائريين،كما اننا تطرقنا الى انعكاسات هذه الحملة داخليا على تحرير تلمسان وبجاية مستغانم ثم على تحرير تونس وطرابلس الغرب.

رلفصل الأول

أوضاع دول المغرب الإسلامي وبداية المخاطر الإسبانية خلال القرن 16 م

المبحث الأول: حالة دول المغرب الإسلامي وظهور

العثمانيين على السواحل المغربية

المبحث الثاني: التواجد الإسباني في سواحل المغرب

الإسلامي

المبحث الأول :حالة الدول المغرب الإسلامي وظهور العثمانيين على السواحل المغربية :

تعد منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط، منطقة صراع منذ بداية التاريخ بين الضفتين الشمالية والجنوبية، خاصة بعد ظهور الإسلام في المنطقة فأصبح هذا الصراع يكتسي صبغة دينية.نهدف في هذا الفصل الإطلاع على أوضاع الدويلات المغاربية ومجيء العثمانيين إلى المنطقة كما سنبين تطور مملكة إسبانيا المسيحية وقيادتها للعالم المسيحي في حربه ضد الإسلام.

1- أوضاع دول المغرب الإسلامي مع نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م:

تعد بداية القرن 13م ميلاد دولة الموحدين حيث أنها كانت أكبر دولة موجودة في العالم الإسلامي، ومع نهاية هذا القرن [1] بداء الهرم يدب في أوصال الدولة، ومالت شمسها إلى المغيب،[2] و اضمحلت هذه الدولة وحل محلها ثلاث دويلات: بنو حفص في المغرب الأدنى وبنو زيان في المغرب الأوسط وبنو مرين في المغرب الأقصى. [3] ولقد كانت دولة الحفصيين أسبقا هذه الدويلات ظهورا التي تأسست في عام 1227م[4]،على يد حفص عمر بن يحي الهنتاني، [5] واتسع نفوذ هذه الدولة في عهده فضم طرابلس تحت حكمه وفي عام 1285هـ/684هـ استقل بها يوسف بن الطاهر اليربوعي [6]، كما دخلت في عهد بنو ثابت تحت حكم ثابت بن محمد بن ثابت ،وفي عام 1349هـ/750هـ[7]، استعيدت من طرف أبو فارس عبد العزيز و دخلت

1- جلال يحي،تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1999، ص 49.

2- عز الدين أحمد موسى، دراسات في تاريخ المغرب الإسلامي، ط1، دار الشروق، بيروت، 1983، ص77.

3- يسري الجوهري، شمال إفريقيا، ط6، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الإسكندرية، 1980، ص134.

4- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، ج5، 1994، ص16.

5- أندري نوشي وآخرون، الجزائر بين الماضي والحاضر، تر:رابح إسطبولي ومنصف عاشور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص ص 116-117.

6- ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، ط 1، مطبعة الدولة التونسية بحضارتها المحمية، 1276هـ، ص 125.

7- ابي عبد الله محمد الطرابلسي، تاريخ طرابلس الغرب "التذكار من ملك طرابلس وما كان من الأخبار"،مطبعة السلفية، 1349هـ، القاهرة، ص 127.

تحت حكمه في 1401م/ 803 هـ ،بعد ما حاصرها فتدخل صلحا وعلماء طرابلس فتم فك الحصار عليها واستسلمت[1].

أما دولة بني زيان التي تمتد على مسافة 830 ميل من الشرق إلى الغرب[2]والتي تولى أمرها السلطان أبو حمو موسى عام 1359م وأطلق عليها دولة بني زيان، في عهده ويعد تاريخها شائك ومشحون بالحوادث والاضطرابات[3].

ولقد كانت دولة بني مرين التي نشأت مع انقلاب عبد الحق بن محيو على الموحدين فدخل تل المغرب 610/1213هـ ثم فتح مراكش 1270م/668هـ، فاستقام له أمر المغرب الأقصى وأسس ما يعرف بدولة بني مرين[4].

1- محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية "تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي"، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1986م، ص 564.

2- الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج2، 1983، ص8.

3- يحي بوعزيز، المراحل والأدوار التاريخية "دولة بني عبد الواد الزيانية 1236-1554م" ، الأصالة ، ع: 26، رجب شعبان 1995م، الجزائر، ص27.

4- الأمير عبد القادر الجزائري،تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر، المطبعة التجارية عزوزي وجاويش، الإسكندرية، ج1، 1903م، ص49.

أما العلاقة بين هذه الإمارات فقد تميزت بالتطاحن والتراعات المستمر وأن بني زيان في تلمسان هم الذين وجدوا أنفسهم بين فكي الرحى فأطماع الحفصيين في الشرق وأطماع المرينيين في الغرب والكل منها يسعى في القضاء عليها والتوسع على حسابها[1].

ورغم الصراع إلاَ أن دولة بني زيان صمدت مدة ثلاثمائة سنة برغم من اضطهاد بني مرين لهم،حيث احتلوا مملكة تلمسان عشر مرات. فكان مصير ملوك بني زيان أما القتل أو الآسر كما تعرضوا كذلك إلى الطرد من قبل ملوك تونس،إلاَ أنهم كانوا يسترجعون ملكهم كل مرة ،واستطاعوا أن يعيشوا في أمن وسلام قرابة 130 عاما[2].

وعندما حاول الأمير الزياني أبو ثابت محمد الرابع أن يقاوم تسلط الحفصيين، أعلن قطع الدعوة لهم على منابر تلمسان،لكنهم قاوموهم وأرغموهم على الخضوع والاستسلام لأن الإمارة الزيانية كانت في حالة ضعف شديد لا تقوى على مواجهتهم [3]، فانقسمت إلى عدة إمارات صغيرة مفككة متناحرة أمثال : إمارة جبل كوكو في ببلاد القبائل وإمارة الحفصيين بقسنطينة وإمارة الذواودة بالحضنة والزاب وإمارة بني جلاب بتقرت ووادي ريغ وإمارة بني بزناس وفقيق بالحدود الغربية وإمارة الثعالبة بجزائر وبني مزغنة ومتيجة[4].

أما الحالة في دولة بني حفص في نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م، فقد تقدم نحو المرينيين وذلك بتوسعهم على حساب الزيانيين، حيث كانت الجزائر الحفصية هي بجاية ثم أصبحت قسنطينة، حيث أنها سرعان ما دب فيها الضعف نتيجة لتصارع أفراد الأسرة الحاكمة على كرسي الحكم[5].

1- صالح حيمر، التحالف الأوربي ضد الجزائر عام 1451 وتأثيراته الإقليمية والدولية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة باتنة، 2006، ص35.

2-الحسن الوزان، المصدر السابق، ص8.

3- يحي بوعزيز، المرجع السابق، ص ص 27-28.

4- يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، دار الهدى، الجزائر، 2009،ج2، ص 8.

5- شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية، تر: محمد مزالي والبشير بن سلامة، ط 2، دار التونسية، تونس، ج2، 1988، ص320.

وفي عهد السلطان أبو عبد الله محمد بن الحسن، هزم أعراب طرابلس السلطان وأزاحوا سلطانه إلى غاية القيروان،حيث رجع منهزم إلى تونس في ثمانية خيول. وهذا يدل على مدى الضعف الذي وصلته السلطنة[1].

وهكذا أستقل سلطان طرابلس عن السلطنة الحفصية وتعاقب على حكمها عدد من الشيوخ المحليين ينتخبهم السكان بأنفسهم ،فشهدت المدينة استقرارا سياسيا وازدهارا اقتصاديا كبيرا[2]، كما استقلت أجزاءها السرت وبلاد الزاب والأجزاء الجنوبية عند احتلالها من طرف الأعراب[3].

وقد غابت شمس بني مرين و كان في آخر عهدها فقدانها السيطرة على العديد من المناطق خاصة في المغرب الأوسط[4] في منتصف القرن الخامس عشر وخاصة بعد أبرز السلاطين "أبو عنان"، الذي نجح لفترة قصيرة في أحياء إمبراطورية الموحدين، بداء المغرب الأقصى يعاني من أزمة سياسية واقتصادية واجتماعيه ثقافية فقد أصبح السلاطين الضعفاء ألعوبة بيد الوزراء الأقوياء الذين كانوا يعينون السلاطين ويعزلونهم[5].

1-محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص 649 .

2- سمير عبد الرسول عبد الله العبيدي، ملخص رسالة طرابلس الغرب أثناء الاحتلال الإسباني وفرسان القديس يوحنا (1510-1551)، كلية الأدب جامعة بغداد، إشراف إبراهيم خلف عبد المجيد العبيدي، بغداد، رجب 1424هـ/2003م، الموقع الإلكتروني: httb://alsafeerint.blogpot.com.

3- أبو عبد الله الشماع، الأدلة البينية في مفاخر الدولة الحفصية، تح ،الطاهر بن محمد العموري، الدار العربية للكتاب، 1984، ص136.

5-عبد الكريم الغلاب،قرأة جديدة في تاريخ المغرب العربي "عصر امبراطورية العهد التركي في تونس ليبيا"، ط1، دار الغرب الاسلامي، لبنان، ج2، ص 333.

1- محمدعلي عامر ومحمد خير فارس،تاريخ المغرب العربي الحديث"المغرب الاقصى- ليبيا"، الجمعية التعاونية لطباعة، دمشق، ص 14.

هذا الوضع أدى إلى جعل أمراء عائلة بني مرين قد يقتطع كل واحد منهم لنفسه إمارة صغيرة لما يكن في وسعه الدفاع عنها،ضد المطامع الخارجية، وقد تزامنت هذه الفوضى[1] مع حركة الاسترداد الإسبانية والتي شنتها على المسلمين في إطار الحروب الصليبية فكانت تستعد للانقضاض على مملكة غرناطة بالضربة القاضية في عام 1492م. حيث استطاع خوان الأول ملك البرتغال سنة (818هـ/1415م) الاستيلاء على مدينة سبتة- أعادها الله- بعد محاصرتها حصارا طويلا في عهد السلطان أبي سعيد أحمد المريني[2].

ويعد سقوط غرناطة آخر معقل للمسلمين في الأندلس واضمحلال وتمزق دويلات المغرب الإسلامي،وبداية الاعتداءات الأجنبية البرتغالية والأسبانية التي كان هدفها الانتهاء من طرد بقايا المسلمين من الأندلس[3] ،والذي جعل المغرب الأوسط فريسة أولى مغرية لإسبانيا،هو ما أبرم من اتفاقات مع مملكة البرتغال حيث تمنع على إسبانيا التمركز في المغرب الأقصى ماعدا مليلة التي احتلتها 1497م[4].

2- مجيء العثمانيين الى الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط:

2- احمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا "1492-1792"، ط3، دار البصائر، الجزائر،2009 ، ص61.

3 – ابو العباس احمد الناصري،الاستقصاء لأخبار دول المغرب الاقصى "الدولة المرينية"،تح وتع:جعفر الناصري ومحمد الناصري،دار الكتاب لنشر، المغرب ،ج4، ص92.

3- يحي بوعزيز، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا "1500–2830م"، عالم المعرفة لنشر والتوزيع، 2009، ص12.

4- شارل اندري جوليان، المرجع السابق، ج1، ص 232 .

يرجع أصل الأخوين عروج وخير الدين، من جزيرة يقال لها **مديلي** "MIDILLI"[1]، حيث أنه عندما فتح السلطان محمد جزيرة مديلي، أودع فيها عسكرا [2]. وكان من جملة هذه العساكر رجل يدعى أبو يوسف نور الله يعقوب آغا، الذي كان من قاراسي وبحكم اشتراكه في فتح هذه الجزيرة أعطيت له فيها أرض واسعة استوطنوا فيها "مديلي" وتزوج أحد بناتها[3]وأنجب أبناء. وكان من بينهم ابن يدعى عروج وكان يسافر إلى طرابلس الشام، فصادف في طريقه فرسان جزيرة رودس اشتبك معهم في معركة كبيرة سقط إثرها إلياس، بينما استولى الكفار على السفن وأخذوا عروج أسيرا بسفينته إلى رودس مقيدا بالسلاسل [4]، وعندما سمع أخوه خضر تأثر فأخذ يجمع لفدية أخيه وإنقاذه،فتعرف على رجل مسيحي من أصل رودسي وطلب منه التوسط لفك أسر أخيه و تنقل معه وتعرف كذلك عروج على رجل في أسره وطلب منه أن يشتريه [5]، وهكذا ذهب عروج مع غريغو (krigo) إلى بودروم، وتابع غريغو السير إلى الجزيرة "قبرص" وبذلك تمكن الاتفاق على الصفقة وأشترى من طرف "سانتربوأغلو" وهو صديق الذي تعرف به عروج في قبرص، وأصبح عروج ملك له.

وكان في المدينة أخا السلطان سليم يقال له قرقود، الذي يعتني بإفتداء أسرى المسلمين فقدم مقدار فدية أربعين أسير. وكان عروج من خدام المركب الذي يوصل الأسرى إلى بلادهم كما كان تحت إحاطة النصارى الذين أرادوا أن يستملوه إلى دينهم فغضب عروج من ذلك [6]، وعندما وصلت السفينة إلى السواحل وأرست مراكبها وذهبوا لصيد السمك فهاج البحر

1-احمد عبد الرحيم مصطفى ، في اصول التاريخ العثماني،ط2، دار الشروق ، القاهرة ،1993م، ص92.

2- مجهول المؤلف، غزوات عروج وخير الدين، تص: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر،1934، ص6.

3- يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، تر:عدنان محمود سلمان، مر:محمود الأنصاري، ط1، منشورات مؤسسة فيصل لتمويل، تركيا، ج1، 1988م، ص 239.

4- مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين بربروس، تر:محمد دراج، ط1، شركة الأصالة لنشر، الجزائر، 2010م، ص 23.

5- عزيز سامح الترـ الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر :محمود علي عامر، ط1، دار النهظة العربية، بيروت، 1989م، ص30.

6- مجهول المؤلف، سيرة المجاهد خير الدين بربروس، تح و تع، تق: عبد الله حمادي، دار القصبة لنشر والتوزيع، 2009، ص53.

وجاءهم الموج من كل حدب فانتهز الفرصة في خلاص نفسه وحاول كسر القيد فأندفع بين الأمواج[1] حتى وصل إلى شاطئ جزيرة تركية إسمها "المرسى"، فوجد هناك عجوزا اعتنت به واستضافته مدة 10 أيام ثم غادرها متوجها إلى مديلَي، وعندما وصل أنطاليا التقى برجل يدعى "علي رئيس يتاجر بين الاسكندرية وأنطاليا، وكانت له سفينة من نوع قليون " kalyon".[2] وقد بلغته شهرة عروج ورحب به[3] وسافر إلى مصر واستقروا بها وأعطى صاحب مصر مركبا لعروج يكون رئيسا فيه ومقدما على جماعته،فهاجم الافرنج عليهم فجرفوا مراكب صاحب مصر وفر المسلمون.

وكان قرقود والي على مغنيسة وعندما سمع به عروج قدم إليه وعندما لجئ اليه قدم الى والي أزمير لينشأ له جفنا برسم الغزو. ولما سلمه إياها أبحر بها فدخل جزيرة مديلي، فقام أهلها ضده وضايقوه ففر منها وتوجه إلى مصر فرحب به سلطانها الملك الأشرف قانصوه الغوري[4] ومع قدوم ربيع 1513 خرج عروج إلى البحر بجفنه يصطاد فحصل على غنائم كثيرة وأستقر رأيه على اتخاذ جزيرة جربة مركز له وفجأة إلتقى بأخيه خضر الذي منع من ممارسة التجارة بسواحل الأناضول ففرح الإخوان بلقائهما [5] ،وكان عروج متوجه إلى جربة لأخذ أشيائه وأمواله.

وبعد الالتقاء قرر الإخوان الذهاب إلى تونس محملا سفينته بالمجاديف[6] ،وأتى تونس وسلطانها وسلطانها يومئذ أبو عبد الله محمد بن الحسن الحفصي المتقدم وهداه بتحف مما غنم وحسان

1- مجهول المؤلف، غزوات عروج وخير الدين...،المصدر السابق، ص ص 8 -9 .

2- قليون: الاسم الذي اطلق على النوع الكبير من السفن الحربية في الأسطول العثماني التي تتحرك بالاشرعة،سهيل صابان ،المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، مر:ع الرزاق بركات ، مكتبة الملك فهد الوطنية، السعودية، 2000، ص 175 .

3- مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين...، المصدر السابق، ص 33.

4- مجهول المؤلف، غزوات عروج وخير الدين...،المصدر السابق، ص11.

5- عزيز سامح الترا، المرجع السابق، ص31.

6- أحمد فؤاد متولي وآخرون، تاريخ الدولة العثمانية "منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي"، أيزيك لطباعة والنشر، مصر، 2005، ص226.

الجواري فوقع ذلك من السلطان موقع حسنا وأستأذنه في الإقامة بأسطوله في بعض مراسي المملكة فأذن له على شرط أن يرفع إليه خمس غنائم [1] و كان السلطان أبو عبد الله الحفصي يترقب منهما زيادة على ذلك أن يحدث هيبته لدولته وحماية سواحلها نظرا لما يتمتع به الإخوان من كفاءات حربية وبحرية فكانا يقيمان الشتاء في تونس ويخرجان بداية الربيع في جولاتهما البحرية كما كانت تدفع السلطان رغبة استعادة ما أفتكه الإسبان من أراضيه الحفصية الغربية[2]، وشرط عليهما كذلك ألاَ يتخاصموا مع سكان المنطقة وقد منح الإخوة مكان في حلق الوادي يسمى(جالطة) للإقامة بشكل دائم ، فأختار الإخوة مكانا مناسبا لهم[3].

المبحث الثاني:التواجد الإسباني في سواحل الشمال الافريقي:

1-إسبانيا المسيحية من عصر المماليك الى التوحيد

1- ويليم سرسلتر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع: عبد القادر زبادية ، الشركة الوطنية لنشر، الجزائر، 1980، ص30.

2- محمد العروسي المطوي، المرجع السابق، ص673.

3- ابن أبي الضياف، أتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ط2، الدار التونسية لنشر، ج2، 1977، تونس، ص10.

عدت فترة أواخر القرن 15م وبداية القرن 16م نقطة تحول في تاريخ إسبانيا المسيحية إذ أنها كانت عبارة على عدة ممالك مسيحية كاثوليكية منها قشتالة و أراغون[1].
و تعاقب على قشتالة العديد من الملوك النصارى،كان آخرهم هنري الرابع[2]، فقد كان عهده عبارة عن عصر من الركود والفوضى ومع ذلك فإن قشتالة لم تقعد في عهده عن المضي في غزو الأراضي الإسلامية، وإرهاق مملكة غرناطة التي اضطربت شؤونها وسادتها الخلافات الداخلية، فاضطر ملك غرناطة السلطان ابن إسماعيل أن يتعهد بتأدية الجزية لقشتالة[3] ،وكان من أهم الحوادث في عهده استيلاء القشتاليين نهائيا على ثغر جبل طارق عام 1462[4]. وعندما توفي سنة 1474م عارض النبلاء جلوس ابنته خوانا، على العرش لما يحيط بنسبها إليه من ريبيا وهنا تقدمت أخته الأميرة إيزابيلا مطالبة بعرش قشتالة وكانت قد تزوجت في سنة 1469م، من ابن عمها الأمير فرديناند الأرجواني وذلك بالرغم من معارضة أخيها الملك هنري الرابع وكان لهذا الزواج أثر بعيد المدى في سير التاريخ الاسباني حسبما نفصل في ما بعد[5].

أما الحال في مملكة أراغون فعندما توفي ألفونسوا الخامس سنة 1458م، دون عقب شرعي أبن جلس أخوه خوان على العرش في أرجوان باسم خوان الثاني [6] وأستطال حكم خوان الثاني حتى سنة 1479م وقد بلغ الثمانين من عمره وكف بصره فترك العرش لولده فرناندوا الذي قدر له أن يضطلع مع زوجه إيزابيلا بأعظم دور في العمل لإنشاء إسبانيا الكبرى،وفي أكتوبر سنة

1- ج.س.كولات، الأندلس، تر: إبراهيم خورشيد وآخرون، ط1، دار الكتاب اللبناني، لبنان، 1980، ص138.
2- سماه صاحب الإحاطة، هنري أنريكي، الإحاطة، ج2، ص359.
3- عبد الرحمان ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، مر: سهيل زكار، دار الفكر، بيروت لبنان، ج 7، 2000م، ص330.
4- واشنطن إيرقنغ، أخبار سقوط غرناطة، تر هلاني يحي نصري، ط 1، مؤسسة الأنتشار العربي، لبنان، 2000، ص104.
5- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، "نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنتصريين"، ط 4، مكتبة الخانجي، مصر، ج4، 1997، ص176.
6- أحمد بن محمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، تح: إحسان عباس، دار الصادر، بيروت، ج2، 1988م، ص 144.

1469م عقد زواج الملك فرناندوا و إيزابيلا في مدينة (بلد الوليد Valladolid)،[1]وبرغم من الفتن والدسائس التي وضعت لملكة قتشالة إلا أنها استطاعت أن تستقر على العرش بلا منازع ومع دخول سنة 1479م، أرتقى فرناندو عرش أرجوان على أثر وفاة أبيه خوان الثاني وبذلك أتحدت المملكتان الإسبانيتان في ضل عرش واحد[2]،فبعد هذا الاتحاد بداءت خططهم الحيثية لإسقاط مملكة غرناطة من خلال السيطرة على مدنها وحصونها تباعا[3] فمع عهد أبو عبد الله محمد الذي اسر سنة 888هـ/1483م إثر هجمات القشتاليين على المملكة واحتفظ به فرديناند رغم الفداء الكبير الذي بذل له وبذلك ليضرب به الضربة القاضية[4].

و لم يبقى سوى غرناطة إلى السلطان أبي عبد الله يطلبون إليه تسليم عاصمتهم وفق لشروط معينة فرفض، فضرب حصار سبعة أشهر على غرناطة وإبتداء من ربيع عام 797هـ/ افريل 1491هـ، أي يوم عيد ميلاد [5]، وكان دخول الملكين الكاثوليكيين فرناندوا إيزابيلا مدينة غرناطة فكان في 2 ربيع الأول 897هـ/ 2 جانفي 1492م،[6] وهو تاريخ حاسم في تاريخ الإسلام والغرب الأوربي وقد احتفلت به البلاد والنصرانية كلها وأمرت البابوية أن تقرع كنائس أوربا كلها احتفالا بتلك المناسبة.[7]

2- دوافع الحملات الإسبانية على بلاد المغرب الإسلامي:

1- هربرت فيشر،في أصول التاريخ الأوربي الحديث "من النهضة الأوربية إلى الثورة الفرنسية"، ط3، دار المعارف، مصر، تر: زينب عصمت راشد، أحمد عبد الرحيم مصطفى، مر: أحمد عزت عبد الكريم، 2001، ص75.

2- محمد عبد الله العنان، المرجع السابق، ص174.

3- نجيب زينب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، ط1، تق: أحمد بن سودة، دار الأمير لثقافة والعلوم، بيروت، ج2، 1995م، ص407.

4- محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، 1982م، ص248.

5- أحمد بن محمد المقري التلمساني، المصدر السابق، ج4، ص 529.

6- محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ط1 ، المكتب المصري لنشر ، 2002م ،ص 192.

7- حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية، القاهرة، 2004، ص454.

لم تكتفي المملكة المتحدة الإسبانية باسترجاع الأندلس واضطهاد المسلمين هناك ولكن أحقادهم الدفينة دفعتهم إلى ملاحقتهم حيثما يحلون ومن ثم تعرضت سواحل إلى الهجمات الإسبانية المتكررة كانت تنتهي باحتلال عسكري لبعض الموانئ الرئيسيةِ.[1] حيث أطلق الإسبان على هذه الحرب إسم حرب الاسترداد "reconquesta" وقد اتخذت هذه الحرب صبغة صليبية لعبت فيها الكنيسة دورا بارزا، ولكن هل كانت الدوافع الدينية وحدها هي المسئولة عن العدوان الإسباني على بلاد المغرب ؟[2] وبرغم من وجود عامل الحماس الديني عند فرديناند الكاثوليكي وعلى الأقل في مراسلاته الرسمية وإعطائها صبغة صليبية واضحة فإن ذلك لا ينفي عنها وعن أصولها وجود المنفعة المادية والتجارية الواضحة[3]

لذلك يمكن القول بأن الحملات الإسبانية على سواحل المغرب الإسلامي كانت تحركها عدة دوافع أما الإسبان أعطوا لهذه الحركة صبغة دينية وهذا بهدف ضمان الحماس الشعبي وخاصة أن درجة الوعي الموجودة في ذلك الوقت لم تكن لتسمح بظهور الحركة في حقيقتها أمام أعين الشعب[4].

الدافع الديني : تتمثل في العداء التقليدي بين الإسلام والنصرانية حيث كان الإسبان يشنون حروب متواصلة على أقاليم شمالي إفريقيا باعتبارها بلاد إسلامية فكان هدفهم العاجل احتلال شمال إفريقيا للفصل بين المغاربة المتمركزين على الساحل الشمالي للقارة الإفريقية وبين المسلمين في الأندلس أما أهدافهم الصليبية التالية فكان من بينها تحويل المغاربة إلى المسيحية وطمس عروبتهم، [5] عروبتهم،[5] كما بارك البابا ألكسندر السادس (Aleksander VI) وأصدر أمر سامي لكل

1- محمد العربي الزبيري، مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث، مؤسسة الجزائر لطباعة ، 1975، ص15.
2- صالح حيمر، المرجع السابق، ص29.
3- جلال يحي، المرجع السابق، ص59.
4- جلال يحي، تاريخ المغرب الكبير، دار النهضة العربية، بيروت، ج3، 1981، ص18.
5- عبد العزيز الشناوي ، الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها،مكتبة الانجلو المصرية، مصر، ج 2، 2004، ص 177.

المسيحيين بأن يستمروا على دفع الضريبة الصليبية " CRUSADA"[1] لملوك إسبانيا من أجل الحرب الإفريقية وجمع القساوسة والرهبان أمولا باهظة في ذلك السبيل بل أنهم باعوا ذخائر الكنائس وكنوزها الثمينة لكي يزودوا الجيوش المسيحية بالمال والعتاد[2] ولذا خشي الكاردينال كسيماناس- خميميناس- المشهور بتعصبه الديني والذي أبرز الدعوة إلى مواصلة الحرب ضد المسلمين و إلى مواصلة الحرب في شمال إفريقيا ،وأنه خشي سقوط غرناطة وفرار و فلول العرب والمسلمين من الأندلس إذانا بتوقف الهجمات ضد العرب المسلمين.[3]

وقد لعب الملكان الكاثوليكيان فرديناندو وإيزابيلا الريادة في قيادة الحملات الصليبية على بلاد المغرب، وتعد وصية الملكة إيزابيلا حافزا وداعما قويا في مواصلة حروب الاسترداد فعندما ماتت سنة 1504م تركت وصيتها كتب فيها مايلي: " **إنه لا ينبغي إيقاف غزوا إفريقيا ولا إنهاء الصراع ضد الكفار "المسلمين" من أجل العقيدة**"[4].

ولكن موت زوج ابنة الملك فرديناند فليب سنة 1506م وجنون ابنته جوهانا، والخلاف بين فرديناند وحكومة وصاية على العرش كاستيل منع من حركة التوسع [5]. وأن الكردينال كزيمنيس دي سيتيروس "scimenes de gisneros" إحترم تلك الوصية وكان هذا الأخير قد عين مستشار للعرش الكاثوليكي الإسباني حيث كانت إيزابيلا قد جعلت منه مستشارا خاصا لها، والذي لعب هذا الأخير دورا مخزيا في طرد المسلمين[6].

1- كروزادا "crusada": ضريبة صليبية فرضت على كل رعايا الملك الكاثوليكي، يصاد ق على البابكل خمس سنوات تعطي للحكام الإسبان لإنفاقها في تدعيم الجهاد ضد المسلمين، أنظر صالح حيمر، المرجع السابق، ص30.

2- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 72.

3- مبارك الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، ج3، 1964، ص19.

5- ملود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل1830، شركة دار الأمة لطباعة والنشر ، الجزائر، ج1، 2008، ص55.

5- زهراء النضام، "العثمانيون والصراع المسيحي الإسلامي في غرب المتوسط العثمانيون والعالم المتوسطي"،في،العثمانيون والعالم المتوسطي، تنسيق عبد الرحمان الودان وعبد الرحيم، ط 1، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط، 2003، ص58.

6- صالح حيمر، المرجع السابق، ص31.

حيث دفع إيزابيلا لإصدار مرسوم التنصير للأندلسيين في 1602/02/12م، أدى الى استشهاد وتهجير الكثيرين على أيدي قوات الإمبراطورية الإسبانية الكاثوليكية[1] .

- **الدافع الاقتصادي** : إن تفويض دولة الأندلس الإسلامية وانهيار النظاميين الاجتماعي والاقتصادي الإسلاميين في بلاد إسبانيا وتشتيت شمل المسلمين وإبعادهم عن البلاد،الذين كانوا دعامة الاقتصاد وخلايا العمل كل ذلك وضع إسبانيا أمام مشكل اقتصادي رهيب فتعطل الإنتاج بصفة تامة وانعدمت وسائل التصنيع[2] فاتجهت أنظار الملك فرديناند إلى تعويض هذا النقص وذلك بتشجيع عملية الاستكشاف وكانت هذه الحالة قد عمت جميع دول أوروبا الغربية، مما أدى إلى اتجاه أنضارهم إلى سواحل الغربية للبحر المتوسط والعالم الجديد [3] ، وإنه بعد هذه الكشوفات الجغرافية، أصبحت في حاجة إلى أسواق تستقبل تجارتها وإلى ثغور ساحلية متعددة تحمي أساطيلها المثقلة بالحمولة.[4]

بحيث اتصفت بلدان ساحل بالازدهار ألاقتصادي المتمثل في مجال الزراعة التجارية فعندما احتلت وهران من طرف الأسبان طلب التجار المغاربة من البنادق أن يأتوهم في هنين [5]، كما ازدهرت التجارة وخاصة مع الأفارقة وكانت تلمسان منطلق هذه التجارة مارين بالصحراء كما اتصفت هذه الدويلات بالرخاء الاقتصادي في سلعها وسيرت القوافل التجارية إلى بلاد السودان والمدن الإيطالية،ولهذا كان لتلمسان أهمية كبرى سعت إسبانيا لسيطرة عنها[6].

1- محمد سيد دغيم،" دراسة تاريخية موثقة عن نكبة المسلمين في الأندلس، قرن أخير من المواجهات"، الحياة ،العدد: 13598، 4 يونيو 200. ص21

2- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص78.

3- جون-ب-وولف، الجزائر و وأوربا "1500-1830"،تع :ابو القاسم سعد الله، عالم المعرفة لنشر و التوزيع، الجزائر ، ص26.

4- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص 16.

5- هنين: مدينة واقعة على شاطئ البحر بقرب من تلمسان كانت سفن البندقية ترسوا فيها ليتعاملوا مع تجار تلمسان بعد أن أحتل الكاردينال خيمينيس وهران والمرسى الكبير."أنضر مرمول كر بخل،إفريقيا، تر:محمد حجي وأخرون، مطبعة المعارف الجديدة، المغرب، ج2، 1989،ص29."

6- الحسن الوزان ، المصدر السابق، ج2، ص ص 17-18.

- **الدافع السياسي والعسكري** : يعد سقوط غرناطة في يد الإسبان في غزة ربيع الأول عام 897هـ/2جانفي 1492م، بداية مرحلة جديدة في تاريخ التوسع الاستعماري الإسباني [1]، وإلحاح الكنيسة الإسبانية على إصدار أمر حكومي عام 909هـ/1499م،بتنصير المسلمين وكانت نتيجة عملية التنصير القصري هذه إندلاع ثورة في حي البيازين [2] في سيرا فجمة- جبال الحمراء قرب رندة، وبعد إخماد هذه الشعلة الثورية بصعوبة في عام 1502م، كان على المسلمين أن ينتصروا أو يغادروا البلاد، فبدأت موجة الهجرة الكبيرة من ارض غرناطة إلى بلاد المغرب وقلة منهم إلى المشرق،[3] حيث نزل العديد من المهاجرين من مدينة مالقة إلى باديس ،وخرج أهل المرية ونزلوا مدينة تلمسان وهاجروا أهل الجزيرة الخضراء إلى تونس والجزائر والقيروان [4]، وعندما توافدت أعداد كبيرة من البحارة الأندلسيين جعل نشاط القطع البحرية الجزائرية يتحول إلى الدفاع عن السواحل ومهاجمة السفن الأوروبية الراسية بها فتعددت الغارات على الشواطئ الإسبانية خاصة في مساعدة ثورة البيازين عام 1499م[5].

وأن الكثير من الأندلس كانوا عندما يستقروا لهم الأمر في المدن الإفريقية ويعملون على الانتقام من الإسبان الذين أخرجوهم من ديارهم وقد اكتسبت هذه الغارات صبغة الجهاد فكان يشاركهم في ذلك الكثير من سكان السواحل الإفريقية [6] ،فيركبون السفن ويترلون بالسواحل الإسبانية لإنقاذ إخوتهم الموريسكيون من خطر الفناء والتنصير كما كانوا يغيرون على السفن الإسبانية ويعودون محملين بغنائم وأسرى تكونت بذلك قرصنة إسلاميه جهاد بحري- ماكان يعرفها البحارة المسلمون في السابق، إنما دعت لها فكرة الجهاد والانتقام من الإسبان خاصة بعد أن

1- عبد الله شريط ومحمد مبارك الميلي، الجزائر في مرآة التاريخ، ط2، دار الهدى، الجزائر، 1965م، ص117.

2- البيازين، هي المدينة الأصلية في غرناطة يقيم فيها المسلمين.

3- ليلى الصباغ، ثورة غرناطة عام 976هـ/ أواخر عام 1568م والدولة العثمانية، الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، العدد27، 1975، ص119.

4- عثمان الكعاك، الموجز تاريخ العام للجزائر من العصر الحجري إلى الاحتلال الفرنسي، تق : أبو القاسم سعد الله وآخرون، دار الغرب الإسلامي، 2003، ص375.

5- ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية "دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني"، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2000، ص132.

6- هربرت فيشر، المرجع السابق، ص87.

ضعفت دول المغرب العربي فقامت مقامها هذه الأساطيل الفردية. [1] لذلك فقد وجدت إسبانيا في القرصنة- الجهاد البحري المغربية حجه لتغذية النزعة الصليبية وذريعة لمحاربة المسلمين في عقر ديارهم فكانت الحاجة إلى إزالة مخابئ القرصنة أقوى من الروح الصليبية ، حافزا لتدخل الإسبان في المغرب[2]، كما إن الاحتلال الإسبان لطرابلس يعني احتلالهم لمنافذ الحوض الغربي من البحر المتوسط الذي تعتبر فيه القوة الضاربة ولكي تمنع الأسطول العثماني من التوسع والتمركز في الحوض الغربي من هذا البحر وكان احتلالها بجاية غربا وطرابلس شرقا،هو ضرب حصار واسع النطاق على السلطنة الحفصية والتضييف عليها لكي لا تنافسها في السيطرة على هذا الحوض[3].

ويمكن القول أن السبب السياسي لم يكن أقل خطورة من السببين الأوليين فبعد انتصار المسلمين بالأندلس فكر ملوك الإسبان في توسيع أملاكهم وخلق إمبراطورية مترامية الأطرف، وبادروا السيطرة على حوض البحر الأبيض المتوسط [4] وقد وجهوا نشاطهم الحربي على السواحل الجزائرية ، تونس وطرابلس الغرب "ليبيا" من أجل انتزاع السيطرة على مياه البحر المتوسط من أيدي العرب المسلمين واحتلال أهم ثغوره[5].

3- النزعة التوسعية الاسبانية على ثغور الحوض الغربي للبحر المتوسط :

أ- احتلال المرسى الكبير : عندما صح العزم من الملك فرديناند الكاثوليكي،قرر مطاردة المسلمين من الأندلس و الشروع في فتح السواحل المغرب الأوسط لم تكن الخزينة الإسبانية تسمح بتجهيز أسطول فمكنت الكنيسة الدولة الاسبانية على فتح أول ثغرة في جدار المغرب الأوسط الساحلي [6]، الساحلي[6]، فبداء الملك الاسباني فرديناند أعداد حملة عسكرية أسند قيادتها إلى دون دييغو فيرناندير

1- محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية ...المرجع السابق، ص262.
2- شارل أندي جوليان، المرجع السابق، ج2، ص322.
3- محمد العروسي المطوي، السلطانة الحفصية ...، المرجع السابق، ص657.
4- محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص86.
5- اسماعيل احمد ياغي، العالم العربي في التاريخ الحديث، ط1، مكتبة العبيكات، السعودية،1997، ص24.
6- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص86.

فيرناندیز وكلفه بالهجوم على المرسى الكبير الذي كان يستقر به عدد كبير من مسلمين الأندلس المطرودين[1].

وإن هذه الحملة مولها الكاردينال الوزير خيمينيس بماله الخاص، وبما قدمته له الكنيسة من مساعدات[2]، و سار الأسطول بقيادة دون رايمون دي قرطبة من مالقة يوم 29 أوت 1505م وهو يحمل 5 آلاف رجل ثم توقف في المرية بسبب الرياح فلم يصل المرسى إلاَ يوم 11 سبتمبر[3].

وكان تأخر الأسطول سبب في تفرق الأهالي المقاتلين بعد أن طال إنتضارهم وكان الأهالي جاءوا إلى الدفاع عن المرسى عندما علموا بخبر الحملة الإسبانية [4]، وهكذا لم يجد الإسبان في إنتضارهم إلا عدد قليل من المقاتلين أما الحامية الزيانية لم تتكون إلا من أربعمائة رجل فقط، قاوموا ببسالة إلى أن قتل قائدهم، فاستسلموا بعد ثلاثة أيام من الحصار الذي ضربه الإسبان عليهم[5]

لكن ما أن أحكم الإسبان سيطرتهم جاءت قوات أهلية كبيرة لكن مجائيها كان بعد فوات الأوان فأنسحب بعد مناوشات [6]، فأحتل الإسبان القلعة وتحصنوا فيها واجتمع أهل المدينة وأصحاب الرأي في دار المزوار، وتشاوروا في الأمر فمنهم من رأى وجوب تنظيم المقاومة الشعبية والدفاع عن المدينة، ومنهم من رأى هذه المقاومة لن تنصرهم و لن تدحر الإسبان فقرروا عقد اتفاقية مع الإسبان تضمن لهم الحياة والحرية الانسحاب من المدينة[7].

5- يحي بوعزيز،مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية ، عالم المعرفة لنشر والتوزيع ، الجزائر،2009 ، ص 58.

2 - أحمد توفيق المدني، المرجع نفسه ، ص86.

3 - Diêgo Haédo ,Histoire De Rois D'Alger ,T :Henri Grammont , P :Abde rhmane Rebhi, Alger Livres Editions ,Alger, 1881,P 9.

4 - مبارك الميلي، المرجع السابق، ج3، ص 23.

5 - صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي "1514-1830"، ط1، دار هومة، الجزائر، 2007، ص 28.

6 - Diêgo Haédo, Op-cit, p 9.

7 - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 87.

وتقررت مفاوضة الإسبان على شروط التسليم التي وافق القائد الإسباني عليها، بالانسحاب المسلمين من المدينة في أجل أقصاه ثلاث ساعات من أجل الجلاء على المدينة وبقية الحصون واشترط عليهم أن لا يأخذوا معهم أي شيء من الزاد والمؤن ولا من حيوان الجر ولا من الأسلحة عندما تم انسحاب المسلمين في الفترة المحددة من التاسعة صباحا إلى الظه ر،أقتحم الإسبان المدينة وذهب المركيز القائد الأعلى إلى مسجد المدينة الأعظم وأمر حالا بتحويله إلى الكنيسة للنصارى وأطلق عليها اسم كنيسة القديس ميكائيل وأقيم بها القداس صبيحة الأربعاء 15 جويليةّ[1]،وشرع يعزز مواقعه ويرسل الطلائع إلى داخل البلاد لتمونه بالقوة ،ذلك أنه لم يجد داخل المواقع التي أحتلها ميمون به جنوده كما أن ملك تلمسان سارع إلى مهاجمة الإسبان فور سماعه بالنبأ[2]

وعند الانسحاب دخل الإسبان المدينة وكان بتاريخ 25 أكتوبر 1505م[3]، وما كاد خبر خبر الاستيلاء على المرسى الكبير يصل مسام ع إسبانيا حتى غمرتها موجة من الفرح والابتهاج وأعلن فيها العيد لمدة أسبوع[4] كما احتفلوا بقرب من انتشار الديانة المسيحية ، وأستعظم الإسبان احتلالهم للمرسى الكبير وضنوا أنهم قادرون على احتلال باقي إفريقيا بسهولة [5].

طلب الملك من دون دييغو أن يقدم إلى إسبانيا فرحل هذا الأخير إلى إسبانيا وترك مكانة **دون روي روكس** مع حامية تقدر بـــ: 800 جندي انصرفوا إلى تحصين مواقعهم وتوسيع شبكات الاتصال هم خارج الحصن فاستولى **دون روي رياز** على المنابع المائية الموجودة على الطريق المؤدي إلى وهران وبني حصن فيها، ووضع فيه فرقة عسكرية لا تغادر المكان[6]

1 – كليل صالح، خير الدين في مواجهة المشروع الإسباني لاحتلال المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة، 2007/2006، ص 46.

2- مبارك الميلي، المرجع السابق ، ج3، ص23.

3- مولود قاسم نايت بالقاسم، المرجع السابق، ص127.

4- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص91 .

5-كليل صالح، نفسه، ص46.

6-مبارك الميلي، نفسه ،ص 24.

ثم فتح سوق تجاري إلى جانب المدينة من أجل تزويد حاميتا بما يلزمها [1]، وبناء علاقة مع الأهالي من أجل مصالحهم، ووجدوا من يتعامل معهم مثل أمير تنس وغيره ، ولكنهم وجدوا كذلك من يقف في وجههم من القبائل منذ البداية أخذ الإسبان يقدمون الهدايا للذين يتعاملون معهم[2].

وأغدقت الحامية الذهب والفضة عليهم، غير أن السكان اعتبروا أولائك المتعاونين خونة و عاملوهم معاملة الأعداء [3]، وتسمى على رأس إدارتها بيدروا نفاروا وحامية عسكرية ثم أخذت القيادة الإسبانية في الأعداد للمرحلة الثانية لتوسيع حيث لما عاد دون دييغو فيرناند سنة 1507م نضم حملة على مسرغين [4]، وضمنت هذه الحملة القوة الإسبانية بكاملها يحث لم يترك في المرسى الكبير، إلاً العدد الضروري لحماية المدينة وأسوارها[5]، وكان عدد أفراد الحامية حوالي خمسة آلاف آلاف رجل والكثير من الضباط وكذلك الفرسان وصلت الجيش في الصباح يوم 07 جوان، وبداء بالقتال والمهاجمة وأستولى على موجدوه،وأخذ الجيش الإسباني الطريق إلى العودة.

وكان الضباط مارتان دي أرغوط يقود طليعة الميسرة، وكان المركيز في المؤخرة ينشط الجنود ولما كانوا يسيرون في طريق ينعطف نحو وهران [6]، وصل الخبر إلى هذه المدينة،وفي الوقت الذي كان الضباب يسود المدينة جاء أهالي المدينة وآخرون من الضواحي وهران وأصبح عدد المهاجمون حوالي سبعة آلاف فارس وعدد لا يحصى من المشاة.

حوصر الإسبان وتخلو عن أسراهم،فزاد حماس المهاجمين وترتب على الجيش الإسباني هزيمة نكراء،حيث سقطوا قتل وجرح من الجيش و لم ينج ى منهم إلاً المركيز وبعض جنوده لا يتجاوز عددهم أصابع اليد وكانت هذه أول هزيمة للأسبان في المغرب الأوسط. [7]أستطاع قائد الحملة

1- أحمد توفيق المدني، نفسه، ص91.
2- صالح عباد، المرجع السابق، ص28.
3- كليل صالح،المرجع السابق ، ص46.
4- صالح عباد، المرجع السابق، ص29.
5- كليل صالح، نفسه ، ص47.
6- صالح عباد، نفسه ، ص29.
7- كليل صالح، نفسه، ص47.

الإسبانية النجاة بنفسه ودخل المدينة مقهورا مندحرا وما كادت تزول عنه آثار المحنه حتى ذهب إلى إسبانيا يقص على رجالها ما حدث،ويطلب المبادرة بالنجدة. وبعد الهزيمة بأيام قليلة حلت بساحة المرسى الكبير نجدة إسبانيا مؤلفة من 500 رجل من المقاتلين المدربين وحاولت حامية وهران استثمار هذا النصر واسترجاع المرسى الكبير،لكنهم لم يستطيعوا السيطرة عليه واسترجاعه لأن،الحصون الإسبانية صدتهم عن ذلك [1]، وبذلك تمكنت إسبانيا من إيجاد مركز للانطلاق نحو المراكز الأخرى فقد كان احتلال المرسى الكبير بمثابة مركز استطلاع على باقي الثغور .

ب– احتلال وهران: أتم الكردينال خمينيس تجهيز حملة كبرى ضد مدينة وهران، التي كانت في سبيل القضاء على الإسلام والمسلمين في المغرب العربي. وما أن تم تجهيزها أبحرت هذه الحملة من مرسى قرطاجنة الإسبانية يوم الأربعاء 16 ماي 1509م وكانت تحتوى على 33 مركبا حربيا و35 زورق وقاربا صغيرا [2]، وتشمل كذلك على 15ألف مقاتل يتولى قيادتهم بطرس النفاري "BEDRRO NAVARRO" وفي يوم 17 ماي كانت أمام المرسى الكبير ونزلت إلى البر دون أي عائق، وانضمت إليها قوات الحامية الإسبانية هناك وسار الجيش نحو وهران وكان يتقدمه الكاردينال ورهبانه يرفعون الصليب.

وأحتل الإسبان المرتفعات وأخضعوا المدينة لقصف مكثف في الوقت الذي كان فيه الجنود يحاولون اقتحام الحصون واضطر المقاومون امام الاعداد الكبيرة من الجنود الاسبان العودة الى داخل المدينة للاحتماء بحصونها وأسوارها، وان حاكم المرسى الكبير كان قد هيأ المعركة على طريقة أخرى فأشترى بذهب وفير وبوعود جمة ذمة اليهودي أشطور من مهاجري الأندلس وكان أشطور قابض المكوس العام لمدينة وهران، وأشترى هو بنفس الطريقة ذمة أثنين من قابضي الكوس الذين يعملون تحت إدارته [3]، وهما القائد الخائن عيسى العربي والقائد الخائن ابن قانص وبينما كان المسلمون على الأسوار ووراء الأبواب يستعدون للحملة بحيث كانت القوات الإسبانية تتجمع أمام

1- احمد توفيق المدني ،المرجع السابق، ص96.

2- عبد الرحمان الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، شركة دار الأمة، الجزائر، ج3، 2009، ص 278.

3 – احمد توفيق المدني،المرجع نفسه، ص ص 100 - 101.

أحد الأبواب الذي مالبث أن فتحه أشطور والخونة الذين معه، فتدفقت القوات الإسبانية [1]، وقد وجد الكاردينال كسيماناس الفرصة المتاحة ليشبع تعطشه لدماء المسلمين بتقتيل أكبر عدد ممكن وراح جنوده يقتلون سكان المدينة بكل وحشية بحيث لم تمر ساعات قلائل حتى تم تقتيل أربعة آلاف شخص، عدا النهب والسرقات،وقد قدرت غنائم الإسبان بأكثر من أربع وعشرين مليون [2]، وأنهم أسروا حوالي 8 آلاف من سكان المدينة وحرروا ما يقدر 300 أسير مسيحي من أسرى معركة مسرغين،وأسرى القراصنة الذين كانوا في المدينة كما أنشأوا مستشفى لعلاج جراحهم.وانه عند دخوله مباشرة حول الجامعين الرئيسين إلى كنيستين وإنشاء ديرين لتنصير المسلمين ونصب مفتشا لمتابعة اليهود والزنادقة [3]، وأن المسجد الأعظم جعل كاتدرائية وضلت تحت الحكم الإسباني إلى غاية 1792م، وقد نتج عن انتصار الإسبانيين في وهران مجموعة من التحولات أبرزها: -اعتراف أبو حمو الثالث بتبعيته وخضوعه للحكم الإسباني وتقديم جزية سنوية مع التعهد بعدم القيا م بفعل يضر بالصداقة الإسبانية . - خضوع قبيلة بني عامر للحكم الإسباني وأصبحوا له أعوان و جندا وعيونا[4].

وأن الإسبان تمكنوا من احتلال النقطة الأساسية في بلاد المغرب الأوسط ووسعها وحصونها وثبتوا فيها وأنهم مكثوا فيها ما يزيد عن قرنين أي حوالي مائتين وخمس (205 سنة) وأصبحت مدينة وهران مركز لهم و منطلق للنهب والسلب [5].

ج- احتلال بجاية: تحتل بجاية موقع إستراتيجي واقتصادي هامين بحيث كانت أح دى المحطات البحرية التي تمثل توسع المسلمين على السواحل الغربية للحوض المتوسطي، وأن ازدهار المدينة من الجانب الاقتصادي كان يتركز على التجارة مع البحارة ذوي الأصل الأجنبي وعلى التجارة

1- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر "من البداية ولغاية 1962"، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1997، ص 47.

2- مبارك الميلي، المرجع السابق، ص26.

3 - صالح عباد، المرجع السابق، ص30.

4- كليل صالح، المرجع السابق، ص48.

5- صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الإستقلال "المراحل الكبرى"، دار العلوم، الجزائر، 2005،ص 142.

المتسمة بطابع غير إسلامي[1]، ونظرا لأهميتها كانت الهدف التالي للكاردينال خيمينيس الذي أمضى وقت للاستعداد لنقل ثقل الهجوم من الغرب إلى الشرق البلاد بعد الاستيلاء على وهران والمرسى الكبير[2]، وفي عام 1510م، أبحر الكونت بيدروا نفاروا في اتجاه بجاية ومعه 14 سفينة محملة بالجنود قبل ذلك أتجه إلى جزر البليار[3]، في 30 نوفمبر 1509م وحتى يستطيع تحقيق المفاجئة وبعدما جاءه المدد من إسبانيا وفي أول جانفي 1510م أنطلق بيدرو نفاروا بأسطوله من جديد إلى بجاية التي وصلها في 5 جانفي.

فعندما كان الاسبان امام المدينة،رأى المسلمون الخطر الإسباني المحدق تنادوا للجهاد واستعدوا للدفاع عن مدينتهم وعن دينهم [4]، وأن بيدروا نفاروا بداء المعركة بتبادل نيران المدفعية بين الحاميه ببجاية التي حاولت منع الإسبان من النزول إلى البر،وقسم القائد دون بيدروا الإسباني جيشه إلى أربعة فرق وجعل كل فرقتين منها فيلقا وأمر الفيلق الأول باحتلال المرتفعات ليشرف على المدينة من أعلاها ليمنع كذلك وصول النجدات إليها أما الفيلق الثاني أمره باقتحام المدينة ومهاجمتها أسفرت العملية على انتصار الإسبان وأبادوا أكثر من 4 آلاف مسلم كما دمروا المدينة دمارا تاما وقضوا على كل المعالم العمرانية والدينية والأثرية وكذلك التحف والنفائس ونقلوها غنائم إلى إسبانيا على متن 30 مركبا غرق أكثرها في الطريق إلى إسبانيا كما هدم منارة البالغ طولها نحو 70 ذراعا[5]، وهي أعظم آيات الفن المعماري الجزائري الجميل والمسجد الأعظم وبعد أن سيطر الإسبان على المدينة دعوا السكان للعودة إليها بشرط دفع تكاليف الحرب ودفع الضريبة بانتظام والتكفل بمؤنة الحامية[6]، كما قام الإسبان خلال فترة احتلالهم القصيرة بتجديد سور المدينة

1- روبار برنشفيك، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي "من القرن 13 إلى نهاية القرن 15"، تر: حمادي الساحلي، ط1، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ج1، 1988، ص 417.

2- كليل صالح، المرجع السابق، ص50.

3- مارمول كربخال، المرجع السابق، ص377.

4 -Diêgo Haédo, op-cit, p10.

5- أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 110.

6- صالح عباد، المرجع السابق، ص33.

الذي ضيقوه ولكنه يتضح أنه لا يزال واسعا أكثر من اللاَزم عند سقوط المدينة من جديد بين أيدي المسلمين الأتراك[1].

د- إحتلال طرابلس: لم تتوقف مطامع إسبانيا على السيطرة على السواحل الجزائرية بل كانت تريد أن تمده إلى ما وراء ذلك وعلى أثر احتلال مدينة بجاية وما حولها سار دون بيدروا نفاروا من بجاية متوجها إلى طرابلس ومعه 8 آلاف مقاتل، كان ذلك في 7 جويلية 1510م فاتجه الأسطول الاسباني إلى "فافينيانا" "Favignana" في صقلية ينتظر السفن القادمة من نابولي ومن موانئ صقلية لمهاجمة مدينة طرابلس، نظمت هذه الحملة تحت إشراف نائب الملك في صقلية وبإعانة الجيوش الصقلية والإيطالية[2].

وقد عاد الأسطول إلى "فافينيانا" في 15 جويلية حيث توقف في جزيرة "غوزو" "gozo" بمالطة وانضم إليهم بعض المالطيين بصفة المرشدين لأنهم كانوا على معرفة بطرابلس وخبرتهم بكافة سواحل شمال إفريقيا وتولى مهمة الإرشاد البحري "جوليانوا أبيلا" "Giuliano Abela" المالطي وكانت الحملة مكونة من 60 سفينة وعدد من المراكب ذات الشراعين وخمسين مركب من ذات الأشرعة الثلاثية[3]، وكما انضم إلى الأسطول خمس سفن مالطية مسلحة وبهذا بلغ عدد سفن الحملة 120 سفينة بحرية صغيرة وكبيرة.

أرسى الأسطول الاسباني في ميناء طرابلس الغرب في 25 جويلية 1510 م[4]، وعندما سمع أهل طرابلس بنزول الأسطول الاسباني تنادوا للجهاد والتصدي للعدو الصليبي الذي جاء للاحتلال والسيطرة على المدينة[5]، ونزل في ظرف ساعات قليلة ستة آلاف جندي جندي "6 آلاف جندي هاجم نصفهم البلاد أما النصف الآخر كان يحرس ميدان القتال و

1- روبار برونشفيك، المرجع السابق، ص 418.

2 – عمر محمد الباروني، الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، مطبعة ماجي، طرابلس،1952، ص 31.

3 – أنطوني روسي، ليبيا من الفتح العربي حتى سنة 1911، تر: خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، 1991، ص 169.

4 – محمد علي عامر وآخرون، المرجع السابق، ص 149.

5 – أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 130.

استولى المهاجمون على جزء من الأسوار على قلعتين ثم استولوا على البرج القائم فوق باب العرب[1].

فلم تصمد طرابلس أكثر من يوم أمام الأسطول الاسباني الذي دخلها وأنزل جيشه فعليا في 18 ربيع الثاني سنة 916 هـ، ولكن ما إن أتى الغروب حتى سقطت المدينة في أيدي القوات الاسبانية[2].

وكان هناك عدد كبير من الخسائر البشرية بحيث قدر عدد القتلى من العرب بحوالي 5 ألاف أما الأسرى فهم أكثر من 6 آلاف. أما القتلى من الاسبان كان عددهم ضئيلا وهذا حسب ما يقوله الإسبان[3].

وبذلك تم للأسبان الاستيلاء على مدينة طرابلس الغرب التي انتزعها من بني حفص سنة 916 هـ/ 1510م[4]، واستبد فيها الاسبان وظلموا وعبثوا بها ثم تنازلوا عليها لصالح فرسان القديس يوحنا "فرسان مالطة" الذين كانوا يعملون معهم ضد العثمانيين[5].

1 – عمر محمد الباروني، المرجع السابق، ص 36.

2 – محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية...، المرجع السابق، ص 660.

3 – أوروج روسي، المرجع السابق، ص 171.

4 – محمد خير فلاحة، الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد، (ب.م)، 2005، ص 48.
الموقع:.www.smart10.com

5 – محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية...، المرجع السابق، ص 272.

الفصل الثاني

جهود الإخوة بربروس في تأسيس إيالة الجزائر

المبحث الأول: جهاد الإخوة بربروس ودورهم في طرد الإسبان

المبحث الثاني: دور خير الدين في تأسيس إيالة الجزائر

المبحث الثالث: تنامي قوة الجزائر و إشتداد الصراع العثماني الإسباني

المبحث الاول:جهاد الاخوة بربروس ودورهم في طرد الاسبان:

1-المحاولة الاولى لتحرير بجاية وتتحرير جيجل1513م:

مع تزامن الغارات البحرية الإسبانية في منطقة إفريقيا، ظهر البحارة العثمانيون الذين أخذوا في الاندفاع نحو غرب البحر الأبيض المتوسط لمواجهة الأسبان بمخططاتهم. وكانت أهداف الأخوة بربروس هي: أولا البحر والثانية لإنقاذ أهل الأندلس والثالثة منع الأسبان من احتلال ساحل الغربي للبحر الابيض المتوسط[1].

بدأ الإخوة في تنفيذ مخططهم فعندما ثبتوا قاعتهم في جزيرة حلق الواد، كانوا يقيمون الشتاء في تونس ويخرجان في بداية الربيع في جولات بحرية[2]، باحثين عن غنائم. وعندما كان الإخوة بربروس يتجولان بجوار جزيرة ألبا، شاهد سفينتين حربيتين وهي عائدة للبابا جوليوس الثاني، فأستول عليها وأسروا من فيها[3]، ووصلوا إلى تونس مثقلين بالغنائم أخذ جميع الغزاة من هذه الغنائم وقدموا حصة السلطان[4].

كما تعرفوا كذلك على المأساة التي لحقت بالأندلسيين الفارين من اضطهاد المسيحيين لهم، مما دفعه لإنقاذ ما تبقى من المسلمين بالأندلس واستطاع عروج وخير الدين إنقاذ أكثر من عشرة آلاف أندلسي[5].

وابتداء من عام 1512م، بدأ نجم الأخوة الأتراك يخترق الآفاق وأخذ الناس يسمعون عن انتصاراتهم الرائعة ضد القراصنة الأسبان في عرض البحر، وفي شواطئ الأندلس نفسها[6].

1-Mesnard Pierre,Charles-Quint et les barbaresques, In:bulletin Hispanique,Tome:61,N:2-3,1959,P:218,SAT:htt://www.pers-fr/web/revues/home/prexript….

2 - محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية...، المرجع السابق، ص673.

3 - عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 44.

4 - مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين ...، المصدر السابق، ص 48.

5 - عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ "الجزائر العامة من قبل التاريخ إلى غاية 1692"، دار المعرفة الجزائر ، ج1، 2009، ص 190.

6 - يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر...،المرجع السابق، ص11.

فكاتبه العلماء وأعيان من أهل بجاية يستصرخونه في إنقاذهم من يد العدو [1]، حيث أختلف المؤرخون كثيرا في طبيعة الدعوة التي تلقاها عروج، فمنهم من يشير إلى السلطان الحفصي في تونس كان وراء ذلك، ومنهم من يتكلم عن الوالي والسلطان المطرود من بجاية.

أما في مذكرات خير الدين بربروس ، فيقول المحقق الدراج:« عندما شاع أمرنا في كل ممالك الكفر ....أعد الكفار الأسبان- عشر قطع بحرية من نوع قادغة، إعداد جيدا لإلقاء القبض علينا، لكننا كنا نريد التوجه إلى ميروقة إلا أنه بسبب مخالفة الرياح توجهنا إلى سواحل الجزائر، فرسونا أمام قلعة تدعى بجاية...»[2].

ومنهم من يشير أنه أرسل إليه الملك أبو بكر الحفصي من قسنطينة، الذي كان في صراع مع الاسبان في بجاية ودخل في مفاوضات مع الإخوة، لتحقيق مشروع طرد الأسبان من بجاية، وأن الخطة كانت تقضي بمهاجمة بجاية من البحر من طرف الأخوة بربروس ومن البر من طرف القائد أبو بكر[3].

جمع عروج وخير الدين رجالهما وتشاورا في الأمر وقرروا المبادرة بتلبية هذا النداء، واعلموا جماعات المجاهدين حول بجاية أنهما قادمان وتواعد تا القوتان على الالتقاء في ساحة الجهاد عند أسوار القلعة[4]، وأخذت وفود المجاهدين تتجمع حوالي المدينة ونزلت جماعات من القبائل من جبال زواوة، فتجمع حوالي 3 آلاف مجاهد تولى قيادتهم المجاهد الموفق[5].

غادر عروج وأخوه قاعدتهما في حلق الواد وجاء إلى بجاية في أوت 1512م على رأس 12 قطعة بحرية محملة بالمدفعية والذخيرة وألف تركي والقليل من الأهالي[6] ، وفي وقت الذي وصل فيه عروج كانت العمارة الاسبانية المؤلفة من خمسة عشرة سفينة مخيمة على

1 - أبن أبي الضياف، المصدر السابق، ص10.

2 - مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين ...، المصدر السابق، ص 50.

3 - صالح عباد، المرجع السابق، ص44.

4 - بسام العسلي، خير الدين بربروس والجهاد في البحر، " 1470- 1547م"، ط1، دار النفائس، لبنان، 1970، ص85.

5 - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 148.

6 - صالح عباد، نفسه، ص44.

مرسى بجايتي بعد أن قدمت من أسبانيا فاعترضت اسطول المسلمين أمام المدينة،و لم يكن في استطاعته هاجمتهما نظرا لتفوقهم عليه[1].

ففكر عروج في حيلة وتظاهر بالانسحاب، فظن الأسبان أنهم فروا منهم. ولكن عندما توسطوا البحر جعل يقلل من سرعة سيره فاقتربت منه أجفان العدو وطمعت فيهم، ورموا بمدافعهم عليه وعند انشغالهم بعمارة مدافعهم هجم عليهم فدهش الكفار من تلك الهجومات وأغرق واحدة وأخذ خير الدين واحدة أخرى من تلك الأجفان، وفرا الباقون إلى مرسى بجاية ثم رجع إلى المدينة[2].

وكان من رأي خير الدين محاصرة بجاية، فأختلف القائدان في طريقة الهجوم، حيث أن خير الدين رأى وجوب محاصرتها بحرا وقطع كل مدد عنها وترك المجاهدون محاصرتها من البر إلى أن تضعف وتستعد للاستسلام[3]، لكن عروج رأى وجوب النزول إلى البر ومهاجمة المدينة من جهة ويهاجم المجاهدون المدينة من الجهة المقابلة [4] فأخذ برأي عروج ونزل من سفنه إلى البر ومعه خمسين من الغزاة فلقى مثل عدده من الكفار فأستأصلهم قتلا ثم دنى من مدينة بجاية فلما قرب من حوز المدينة رمى عليهم الأسبان وانهالت عليهم طلقاتهم فأصيب عروج في ذراعه[5] بشظية قنبلة فاشتد عليه الألم فبعث له خير الدين بطائفة من مساعدين فنقلوه إلى تونس تونس لكنه لم يشفى واضطر إلى بتر ذراعه وفشل في محاولة الأولى وعاد مهزوما إلى قواعده [6].
[6].

1 – مبارك الميلي، المرجع السابق،ج3، ص 35.

2 – جهول المؤلف،غزوات عروج وخير الدين ...، المصدر السابق ص ص17-18 .

3 – أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، 149.

4 – بسام العسلي، المرجع السابق، ص87.

5 – مجهول المؤلف، سيرة المجاهد...، المصدر السابق، ص67.

6 – مؤسس كوريس العالمية، قصة وتاريخ الحضارات العربية "تونس- الجزائ" ،نشر مؤسسة كوريس، بيروت، 1999، ص118.

وتعود أسباب فشله إلى قوة الحصون الاسبانية وطبيعة المدينة و جغرافيتها الصعبة وكثرة انتشار القوات الاسبانية المدافعة [1]،وتعاون أمراء قلعة بني عباس مع الأسبان أدى بالأخوين إلى عدم الفلاح في مهمتهما [2].

وبعد استعادة عروج عافيته خرج مع أخوه في ثمانية مراكب للغزو فوصلوا إلى سواحل الأندلس وكانت مدينة غرناطة الإسلامية قد سقطت في يد الأسبان مع أن الأسبان كانوا يقومون بمظالم كبيرة في حق المسلمين الذين أصبح كثير منهم يعبدون الله في السر في مساجد سرية كما عثروا على مسلم صائم أو قائم عرضوه مع عائلته إلى العذاب والإحراق [3]، فتأثر عروج وخير الدين بهذا الخبر لذلك قاما بعمل تطوعي وذلك بحمل عدد كبير من المسلمين الأندلسيين وإنقاذهم من أيدي الكفار ونقلهم إلى تونس والجزائر وخاصة إلى مستغانم و شرشال[4]،كما بداء الهجوم على سواحل إسبانيا لتسهيل انتقال المسلمين عند معرفة العثمانيين في تلك المنطقة كما حصل في جزيرة ميروقة كرد على الفعل الصليبي الشنيع على مسلمي الأندلس ووصلت هجوماته إلى ناحية كورسيكا الخاضعة إلى اندريا دوريا[5].

أثرت خيبت بجاية في نفس عروج وأدرك أن تمركزهم بحلق الواد يبعد عن ميدان المعركة ولا يساعده في التفوق على الأسبان لذلك قرروا البحث عن مركز لهم جديد يكون قريب من مسرح الأحداث[6]، في الحوض الغربي للمتوسط الذي تشتد فيه غارات القراصنة الأسبان مع ان ان السلطان الحفصي تضايق من نشاط هؤلاء الأخوة الأتراك ورفقائهم ومن السمعة التي حصلوا عليها لدى السكان بفضل النجاحات الواسعة التي حصلوا عليها ضد القراصنة الأوربيين وتخوف من أن ينقلبوا عليه فعزم الأخوة على نقل قاعدتهم البحرية إلى الغرب ليقتربوا

1 – يحي بوعزير، علاقات الجزائر الخارجية ...،المرجع السابق، ص35.

2 – يحي بوعزير، موجز تاريخ الجزائر...، المرجع السابق، ص11.

3 – جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث " 1500– 1830م"، المؤسسة الوطنية للطباعة، الجزائر، 1987م ،ص 41.

4 – مجهول المؤلف مذكرات خير الدين...، المصدر السابق، ص54.

5 – المهدي بن علي بن شغب، أم الحواضر في الماضي والحاضر"تاريخ مدينة قسنطينة"، مطبعة البعث، الجزائر، 1980، ص53.

6 – يحي بوعزيز، الموجز في التاريخ...المرجع نفسه، ص 12.

أكثر من المستوطنة الاسبانية ببجاية[1]،ووجدوا جيجل أحسن مكان لهم للتمركز ، فتوجه نحوها في 1513م التي كانت تحت احتلال أهل جنوة الإيطاليين منذ سنة 1260م الذين كانوا يمارسون صيد المرجان بالمنطقة وشنوا عليها حملة ناجحة عام 1514م بإعانة القبائل المحيطة بها[2].

فتمكن عروج من تحقيق هدفه المزدوج: إنقاذ بلدة إسلامية من يد العدو وهي أول بلدة ينقذها على الساحل وحصل على قاعدة ومركز منيع برا وبحرا يسمح له الانطلاق لتطوير أعماله القتالية وهكذا استقر عروج في جيجل [3]، وكانت الغنائم التي حصل عليها كبيرة حيث بلغ عدد الأسرى حوالي 600 أسير وأرسل عروج هؤلاء الأسرى إلى السلطان العثماني تحت رقابة محي الدين ريس باسطنبول[4]،ثم قام بشرح طبيعة المخاطر التي تعرض لها المغرب وتهديد عروبته وإسلامه فبعث السلطان سليم الاول الى عروج أسطول مؤلف من 14 سفينة مع الامدادات من الرجال والسلاح والذخيرة وقد زاد هذا الدعم إمكانيات وطموح عروج [5]، ويعتبر هذا الاتصال الأول في تاريخه مع الدول العثمانية حيث يعكس رغبة السلطان العثماني في استمرار دور الأخوين ودعمهما[6].

وهكذا توجها الأخوان لإنقاذ المسلمين المضطهدين بالأندلس ونظر ا للنجاح الذي حققه عروج بجيجل فقد بايعه سكانها أميرا عليهم واستحثه شيوخ القبائل وأمير جبل كوكو أحمد بن قاضي على إعادة الكرة على الأسبان في بجاية.[7]

2-محاولات تحرير بجاية(1514م-1515م):

1 - يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا...، المرجع السابق، ص 249.

2 - أحمد توفيق المدني، محمد عثمان باشا، داي الجزائر" 1766-1791م"، سيرته حروبه أعماله...، (ب،ط)، (ب،ه)، (ب،ت)، ص 25.

3 - أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص 152.

4 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 45.

5 -جمال بيضون، تاريخ العرب الحديث، ط1، دار المنتخب العربي،لبنان، 1997، ص48.

6 - محمد علي الصلابي، صفحات من التاريخ الاسلامي في الشمال الإفريقي"الدولة العثمانية عوامل النهوض واسباب السقوط"، sat:www.Libya-web.net، ص 352،

7 -يحي بو عزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ...، المرجع السابق، ص12.

أ–المحاولة الثانية: بعد أن بويع عروج تمكن من إنشاء جيشا منظما وأحسن تشكيلته وفي كتائب متعددة وعوده على استعمال الأسلحة الجديدة ، كما وعده شيخ بلاد الزواوة الغربية «كوكو» بالإعانة والتأييد وأخذ رجال الدين والعلماء يستنفرون الناس إلى الجهاد في سبيل الله وعمت الدعوة وانتشرت [1]، فبعد هذه التنظيمات قاد عروج تنظيم حملة على بجاية شهر أوت 1514م ، بجيش بري وحاصر ما يقارب 3 شهور [2] ،وفي هذه المدة قصف المدينة بمدافع مراكبه من الجهة البحرية بينما تولى أبن القاضي محاصرتها من جهة اخرى للئي يتمكن من السيطرة على أحد قلعتيهما وفي هذا الوقت وصلت الإمدادات الإسبانية المتمثلة في حوالي خمسة ألاف[3] رجل يقودهم " ماشين فانتورا" وأمام الوضعية الجديدة طلب عروج الدعم من السلطان السلطان الحفصي في تونس لكنه لم يمدهم بالدعم[4].

وبعد الحصار الذي لم يلقى أي نتيجة تبين له أن الحصون لا تقتحم على هذه الطريقة التقليدية لذا اضطر إلى الانسحاب والالتجاء إلى قصر جيجل [5]، قبل أن ينصرف أحرق بيده 12 سفينة ضخمة أسبانية كانت راسية في نهر الصومام على بعد 3 أميال من بجاية ثم لجأ إلى جيجل وعند وصوله إليها وجد مبعوث السلطان العثماني سليم الأول الذي جاء على رأس 24 مركبا ليقدم له تشكرات السلطان.

ب–المحاولة الثالثة: بعد ما قضى عروج فصل الشتاء في جيجل و أكمال استعداداته رجع له رسول من بجاية يكرر طلبه حاملا رسالة من العلماء ولذا تحرك عروج في مارس 1515م في محاولته الثالثة لتحريرها وقد اعتمد في محاولته هذه على إجراء حصار بري بحري فقواته في البر بينما وجه اسطوله في البحر للمشاركة في العملية حيث اقتحمت السفن مصب نهر الصومام [6] [6] ،ونصب بصفة محكمة حينما التقى المجاهدون مع السفن على هذا المنصب ، ركز عروج

1 – أحمد توفيق المدني،حرب ثلاثمائة سنة...، المرجع السابق ص153.

2- Moulay Belhamissi , Histoire De La Marine Algérienne (1516-1830),E.N.A.L.,Alger, 1983,p 81.

3 – صالح عباد، المرجع السابق، ص 45.

4 – مجهول المؤلف ،مذكرات خير الدين ...،المصدر السابق، ص138.

5 – حسن الوزان، المصدر السابق،ج1، ص 51.

6 – كليل صالح، المرجع السابق، ص90.

نيران مدفعيته على معقل الحصن الصغير واستمر في قصفه بقوة وعنف حتى تم تدميره والقضاء على معظم حاميته وحاولت قوات المجاهدين اقتحام المدينة عبر إنقاذ القصر الصغير غير إنها اصطدمت بالمواقع المحصنة و مراكز الدفاع القوية والتي وضعت خلفها الحامية الإسبانية[1].

بعد فشل الأسطول البحري أمر عروج بأن يشيدوا فوق مرتفع الذي يعلو بجاية برجا عالي لمراقبة من خلاله سير المعركة و يباشر منه ضرب الأسوار من كل الجيهات، لكنه عند نفاذ الذخيرة واستشهاد القائد محمد إلياس شقيقهما كما إن خسارة الأرواح التي أصابت جموع المسلمين جعلت من الصعب الاستمرار على مهاجمة الحصون والمعاقل التي لا تزال في حالة قوتها[2]، فقرر فك الحصار مؤقتا والرجوع إلى المركز العام في جيجل وكان في ذلك الوقت وادي الصومام قد جف نسبيا بحيث لم يتمكن خير الدين من سحب سفنه فحرقها ثم تراجع إلى جيجل[3].

3- استنجاد أهالي الجزائر بالأخوة بربروس:

أثار موت الملك الاسباني فرديناند الكاثوليكي في 23 جانفي 1516م، ضجة في الموانئ المغاربية واعتبر سكان مدينة الجزائر أنهم تخلصوا من عهوده م تجاه الملك الراحل ، لكنهم كانوا أضعف من أن يتحرروا من قبضة الأسبان بأنفسه م[4]، فأرسلوا وفدا من سكان مدينة الجزائر سنة 1516م على رأسهم حاكمهم سالم التومي ثعالبي[5] وكان عروج في ذلك الوقت متواجد في جيجل[6] .

كانت دوافع التي جعلت سكان الجزائر يستنجدون بالأخوة بربروس هي عندما توفي عبد الرحمان الثعالبي، انتقلت سلطة الحكم في الجزائر من الثعالبة إلى أولاد سالم ، فقد كانت إدارة

1 - صالح حيمر، المرجع السابق، ص39.

2 - احمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة ...، المرجع السابق، ص155.

3 - مبارك الميلي، المرجع السابق، ج3، ص38.

4 - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ج1، ص 235.

5 - الثعالبة هم أهل بني مزغنة، كيث يقول أحمد توفيق المدني: أنه أستنجد شيخ الجزائر من بني مزغنة سليم التومي بالأخوين التركيين عروج وخير الدين، أنضر أحمد توفيق المدني ، محمد عثمان باشا داي الجزائري... المرجع السابق ، ص29.

6 - عمارة عمورة، المرجع السابق، ص190.

أولاد سالم "سالم التومي" شديدة الوطأة على سكان المدينة على درجة أنهم فكروا في استجلاب الأسبان على حدود المدينة فيتقوا بذلك شرهم ويتجنبوا احتلال المدينة ولكن هذا الأمل لم يتحقق فقد استمر الشريخ سالم التومي بحكم المدينة بقبضة من حديد مع تحالفه مع الأسبان وتهديده المستمر من طرف حصن البنيون[1].

حينئذ فكر سكان الجزائر في حيلة للتخلص من سالم التومي فراسلوا عروج يستنجدون ه ويعلنون عزمهم على تسليمه قيادة الجهاد لكن سالم التومي عارض ذلك في البداية ، إلا أنه اضطر إلى القبول في نهاية الأمر تحت ضغط الرأي العام الذي كان يطالب بطرد المسيحيين الأسبان وتخليص المدينة من تهديد هم وقبلت عائلة بربروس هذا الطلب ورأت في ذلك فرصة لدخول مدينة الجزائر الهامة الغنية[2].

لذا غادر عروج مدينة جيجل متجها لها واصطحب معه في هذه الحملة اسطول متكون من 16 سفينة شراعية صغيرة، وصلت البحر تحمل على متنها 500 تركيا، كما أحضر معه المدفعية والمؤونة وأدوات الحرب ، بينما جاء عن طريق البر ومعه 800 تركيا مسلحين بالبنادق و 30 جنديا من المغاربة الذين يسكنون جبال جيجل كما تبعه ألفين آخرين آملين في الحصول على الغنائم، حيث يقدر عددهم الإجمالي حوالي 6 آلاف رجل وهو ما يشكل جيشا حقيقيا صغيرا.[3]

ووصلت القوات إلى الجزائر فاستقبلها أهالي الجزائر ثم قام عروج بزيا رة إلى شرشال حيث أن سكانها يكادون أن يكونوا جملة من لاجئي الأندلس حيث سبقه إليها أحد مساعديه السابقين وجعل نفسه ملكا، وكان عروج لا يريد منافس فنزل شرشال وتكلم مع مساعد ه

1 - مبارك الميلي، المرجع السابق، ج3، ص 43.

2 -كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الألى لقيام دولة مدينة الجزائر ،تر جمال حمدانة،ديوان المطبوعات الجامعية ، 1991، ص27.

1_Diego Haédo. op- cit, p 16

غير الوفي قارة حسين[1]، فاعتقله وقطع رأسه وبذلك ضم شرشال إلى أملاك الأخوين المفتوحة ثم كونوا حامية في المدينة[2].

وحررها لسبب أنه أراد إيجاد ملجأ آمن قريب من جنده من جهة وتحقيق الانسجام بين جنوده والسكان المحليين الأندلسيين المتمرسين في العمل البحري لكسب بعض الوقت في انتظار وصول قوة خير الدين البحرية التي انطلقت من جيجل بعد أن ترك حاميته بها في نفس الوقت وصلت سفينتان أرسلهما الخليفة أو السلطان من جزيرة متلين(مدللي) تحمل إسحاق[3].

ولما وصل عروج إلى مدينة الجزائر حاول أن يطرد الأسبان من حصن البنيون (صخرة الجزائر) أو (Penoune d'alger) المواجهة للميناء[4].

وعندها باشر مخططه في تحطيم القلعة واعتبر نفسه في حالة فسخ من المعاهدة السابقة المبرمة مع اسبانيا وعمد إلى فرض المراقبة الشديدة على نبع الماء الذي يمول الحامية الإسبانية في القلعة وقام بحفر خندق ونصب مدافعه في مواجهة القلعة وأخذ في قصفها مع ما فيها من حامية يوم 12 أوت 1516م، وحرمهم من الماء نهائيا ومن مواد التموين، واضطرهم للتموين م ن جزر البليار ورغم هذا العمل فإنه لم ينجح وباءت هذه المحالة بالفشل[5]،

شعر الأمير سالم التومي حاكم البلدة السابقة الأمر قد أفلت من يده، وأن عشيرته من بني سالم بحيث لم تعد هي القوة الأساسية وأخذ في البحث عن الوسيلة التي تضمن له وعشيرته استعادة ما كان لهما من نفوذ[6] ، وزاد حقد سالم التومي على الأخوين عند ما عين عروج أمير للجهاد في سبيل الله[7] بحيث يصل هذا الحقد إلى درجة التفكير بالتعاون مع الأسبان و الاستغاثة بهم من

1 – هو أحد القادة الذين أعتمد عليهم خير الدين في توطي ملك الجزائر وتعني كلمة قارة التركية تعني الأسود، مجهول المؤلف، سيرة المجاهد ...، المصدر السابق، ص120.

2 – جون_ ب_وولف، المرجع السابق، ص30.

3 –عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص52.

4 – أرزقي شويتام، نهاية الحكم العثماني في الجزائر، وعوامل إنهياره " 1800–1830م"، ط1 ، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2011، ص13.

5 – عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص52.

6 – بسام العسلي، المرجع السابق، ص 94.

7 – يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر ...،المرجع السابق، ص13.

من أجل إعداد حملة عسكرية لإنقاذ الجزائر من عروج ومواطنيه من أهل المدينة [1]، كما نظم رفقة البرجوازية لإعداد مؤامرة مع قبائل متيجة المعادية للأخوين بالإضافة دعوة أمير تونس إلى عبد الله الحفصي لتحالف مع الأسبان لصد عدوهم المشترك والذي كان هو أيضا يحاول القضاء على الخطر القادم من الغرب «الجزائر» خاصة وأن عروج كان ناقما عليه بعد حصار بجاية الأخير[2].

لكن عروج تفطن لهذا المؤامرة، وقضى عليها في المهد حيث قتل سالم التومي بيده في داخل حمام منزله وأعلن نفسه سلطانا على المدينة[3] ، وأصبحت السلطة بيده ورفع فوق أسوار قلاعها قلاعها رايته المؤلفة من 3 ألوان "الأخضر- الأصفر- الأحمر" ونشر سلطانه على كامل السهول المحيطة بالمدينة وبادر بصك النقود التي تحمل شعاره كتب عليها «ضرب في الجزائر»[4]

فر أبن سالم التومي المدعو يحي إلى الأسبان في وهران « الحامية الاسبانية في وهران» ومنها أرسل إلى طليطلة أين كان الواهب كيسمريس يدير المملكة الاسبانية ، بعد وفاة الملك فرديناند[5] لذلك جهز الكاردينال الأسباني كيسم نيس (ximens) حملة بقيادة الأم يرال دييغو دي فيرا "Diêgo de veral" ، من قرطاجنة في 30 سبتمبر 1516م، وأنه من الصعب تقدير أهمية هذه الحملة من خلال الوثائق الإسبانية ، فحسب مخطوط الزهرة النيرات فإن الحملة تتكون من 320 سفينة حربية [6] ، أما خير الدين فيقدر هذه الحملة مكونة من حوالي 40 سفينة تحمل على متنها 1000 جندي[7]، فكانت غايتهم أفتكاك أكبر ميناء في مدينة الجزائر من عروج وكان جيش عروج يتكون من العرب و البربر والأندلس بالإضافة إلى الأتراك وكان عددهم بين 5 و 6 ألاف مجاهد، وأمر عروج برفع الرايات فوق أبراج المدينة

1 - أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص159.

2- Diego Haédo op – cit, p17.

3 - عمارة عمورة ، المرجع السابق، ص 191.

4 - أحمد توفيق، نفسه، ص 159.

5 - صالح عباد، المرجع السابق، ص47.

6 - كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص33.

7 -مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين ...،المصدر السابق، ص 77.

وفي الليل خرج عروج خفية من أحد أبواب القلعة مع 3 ألاف مجاهد، وقام بالالتفاف حول الجبال وعسكر خلف الأسبان وبسبب الليلة العاصفة والظلام[1].

لم يتمكن الأسبان من معرفة تحرك عروج الذي فاجئهم بهجوم مباغت فتم القضاء عليهم جميعا ، وواصل القضاء على فرقهم العسكرية في آخر الليل بحيث وصلت له الإمدادات من القلعة الجزائرية بألف مجاهد فشرعوا في إبادة القوى الأسبانية فتم القضاء عليهم تماما كما أخذ الباقون أسرى فقدر عدهم 2700 أسيرا وعند انتصار عروج ارتفعت راية الترك على قلاع المدينة[2].

ولما عاد القائد الاسباني إلى بلده بعد هذه الهزيمة إعتقله الكاردينال كيسيميناس ثم سلمه إلى الجماهير التي قتلته [3] .

وكان من نتائج هذا النصر، توسيع رقعة الدولة الجزائرية الناشئة حيث سارع سكان البليدة والمدية وملیانة وما حولهم إلى مبايعة عروج والخضوع له كما اعترفت بسيادته بلا د القبائل وبذلك سار إلى إمارة الجزائر ووضع أخاه خير الدين واليا على الناحية الشرقية وجعل مركزه مدينة دلس وانتقل بعدها إلى تنس[4].

4–محاولة تحرير تنس 1517م وتلمسان 1518م:

أ– تحرير تنس:أمام موقف عرب متيجة المعادي لعروج، تحالفوا مع ملك تنس الذي وضع نفسه تحت حماية الأسبان بهدف الاحتواء على عرش تلمسان بعد انتصاره على الزيانيين الذي جمع 10 آلاف فارس من أتباعه وحلفائه الأسبان وسار بهم نحو متيجة ابتداء من جوان 1517م[5]، وعند سماع عروج بالمؤامرات قرر الانتقام منه وإخضاع المدينة فذهب إليه على رأس قوات كبيرة ووقف عند واد الجر– يقع على بعد 5 مراحل من البليدة – ، واشتعلت النيران المعركة بمجرد وصول عروج حيث استعمل هذا الجيش أسلحة نارية فانهزم جماعة

1 – مجهول المؤلف، سيرة المجاهد ...، المصدر السابق ص ص 86-87 .

2 – مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين ...،المصدر نفسه، ص ص 77- 78.

3 – عمارة عمورة، المرجع السابق، ص191.

4 – أحمد توفيق المدني، عثمان باشا...، المرجع السابق، ص26.

5 – صالح عباد، المرجع السابق، ص47.

الخائن ودخل الجزائريون مدينة تنس بعد أن ركب الأسبان سفنهم وغادروها بكل سرعة خشية من أن يحل بهم يوم كيوم الجزائر[1].

ب–محاولة تحرير تلمسان: عقب استقرار الأتراك في تنس أصبحوا القوة الفعالة في المنطقة وبعد تخلي سكان تلمسان عن أبي حمو سبب السيرة السيئة فيهم أفتى علماء المسلمين بقتل جميع الحكام المرتبطين بالأسبان، بعد انتصار أبا حموا على عرش تلمسان 1517م[2]، وعندما علم عروج وأخوه بما يجري في تلمسان استعد الأخوان لرد إي حركة تصدر عن الأسبان ومؤيديهم و لم يستطع الأهالي تحمل إهانات أبو حمو لهم نتيجة ارتباطه ارتباطا وثيقا بالأسبان ، فشكلوا وفدا كلفوه بالذهاب لريس عروج لطلب المساعدة منه وإنقاذهم من الحكام الغرباء[3].

توجه عروج إلى تلمسان برا وكان عازم على الاستيلاء عليها لكنها كانت بعيدة جيدا، على أطراف فاس كما أنها لم تكن بلدة ساحلية يمكن الوصول إليها بواسطة السفن إضافة إلى ذلك فقد كان السلطان الزياني يملك جيش كبير ا مكونا من العرب والأسبان[4]، فاتخذ عروج طريقه إلى تلمسان بين الهضاب الداخلية حتى لا يصطدم بالأسبان من ناحية وهران فيصدونه عن تلمسان أو يقطع خط الرجعة [5] ، ولما وصل قلعة بني راشد[6] فإصطدم م ع من فيها من النصارى ، فوقع بينهم قتال فقتل منهم 700 وأسر 300 وبعدها تحصنوا في القلعة لكن النصارى رجعوا مرة أخرى ، ولكن عروج استطاع دحرهم،[7] وأبقى عروج أخوه إلياس مع حامية قدرها 600 تركيا في هذه القلعة ،كما انظم إليه خلال مسيرته إلى تلمسان عدد كبير من السكان الناقمين على تحالف أبي حمو مع الأسبان.[8]

1 –أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة...، المرجع السابق،ص 169 .

2 – عبد الرحمان الجيلالي ،المرجع السابق، ص 302 .

3 – عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 61.

4 – مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين ...، المصدر السابق، ص 86.

5 – أحمد توفيق المدني،حرب ثلاثمائة سنة...،المرجع السابق، ص 171 .

6 – قلعة صغيرة تقع في غليزان حاليا وتعتبر من بين أهم الأماكن الأثرية في غليزان، عمارة عمورة، المرجع السابق، ص 191.

7 – مجهول المؤلف، غزوات عروج وخير الدين...، المصدر السابق، ص23.

8 – مبارك الميلي، المرجع السابق، ج3، ص47.

ثم مضى جيش عروج حتى وصل سهل أربال[1] حيث كان أبو حمو قد أقام معسكره هناك وضمت قواته 3 آلاف من المشاة و 6 آلاف فارسا[2]، وبالرغم من ضخامة وحجم القوة لم تصمد أمام جيش عروج فتمزقت بسرعة ومضى عروج لمتابعة تقدمهم حتى وصل تلمسان التي استقبلت قوات عروج بفرحة عارمة وخرج أبو زيان الثالث الملقب **المسعود** وتولى سلطانه وأجلسه عروج خلفا لأبي حمو [3] ، الذي فر إلى فاس ثم ذهب إلى وهران يطلب النجدة من الأسبان.

وتزامن ذلك بعد تتويج شارلكان [4] خلف لملك فرديناند [5] فلبى شارلكان طلبه، وأمر حاكم مدينة وهران **دوق مارا** بأن يستعمل كل إمكانياته لإرجاع أبي حمو إلى عرش تلمسان ، وإبعاد خطر التوسع الجزائري على أنقاض المملكة بني زيان[6]، وأمد له يد العون فعاد بحوالي 10 10 ألف رجل جنديا إلى وهران في أواخر جانفي 1518م، وبفضل الدعم الاسباني تمكن أبو حمو من مداهمة الحامية التي تركها عروج في قلعة بني راشد [7]، التي كان إسحاق مرابطا فيها لكنه بعد دفاع عظيم لم يستسلم إلا بعد أن عهد بتركه يسير حرا إلى تلمسان مع بقايا الرجال الذي دافعوا عن القلعة، وسار فعلا يريد الالتحاق بشقيقه لكنه على اثر خيانة أبو حمو لإسحاق مع جماعته[8] أثناء الطريق ،اغتاله الأسبان بمساعدة أبي حمو مع كامل جيشه وذلك في أواخر

1 – سهل أربال في ضواحي تلمسان .

2 – عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص61.

3 – بسام العسلي، المرجع السابق، ص 103.

4 – هو شارل الخامس (Charl-Quint) ولد بمدينة غانج – 1500/02/24م هو أحد أحفاد الملك فرديناند الكاثوليكي أنتخب سنة 1519 م أمبراطورا على الدولة الرومانية المقدسة بلقب شارل الخامس عرف بتعصبه الديني فأعاد قوات التحالف الأوربي التي أنكسرت أمام الجزائر سنة 1541 ثم إعتزل في دير يوست 1555م، إلى أن توفي 1558/09/21 ،صالح حمر، المرجع السابق، ص 21.

5 – محمد ر الطمار، تلمسان عبر العصور، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،2007، ص 188.

6 – أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة ...،المرجع السابق، ص 173.

7 – مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين ... ،المصدر السابق، ص ص 90- 91.

8 – يقول صاحب مذكرات خير الدين أن إسحاق قتل من طرف سكان القلعة، ص91.

جانفي 1518م[1]، وقام القائد الأسباني بتسليم القلعة لأبو حمو بمساعدة حامية إسبانية للحفاظ على سلطة فيها و عادت القوات إلى وهران[2].

وقد أجرى عروج اتفاقا مع بني وطاس حكام فاس ضد الأسبان وفي نفس الوقت قام عروج بإصلاح وترميم جميع أسوار القلعة وأبراجها وتعزيز نقاط الاستحكام فيها كما قام بجميع الضرائب من المناطق المجاورة وتخزين كميات كبيرة من المواد الغذائية وأمن احتياجات من المعدات الحربية والبارود[3].

وبعدها قام المركيز قائد الحملة بحملة جديدة لسيطرة على تلمسان ، وعند اقترابه من تلمسان فتح له أبو حمو أبواب المدينة أضطر عروج إلى اللجوء إلى قلعة المشور لذا شددت القوات الأسبانية قبضة الحصار على القلعة[4]، فنصبو المدافع ورموا عليهم فاستشهد جماعة كبيرة كبيرة من أصحاب عروج ودام الحصار نحو ستة أشهر، وبعدها أقام النصارى فجوة في الأرض وملئوها بالبارود ثم فجروها فأحدثت ثقبا في القلعة فتسلل منها النصارى ووقعت جملة معارك داخلها[5].

وحل يوم عيد الفطر فاغتنم حلفاء الأسبان من السكان، هذه الفرصة فطلبوا من عروج أن يأذن لهم بالدخول للقلعة لأداء صلاة العيد[6] ، فأذن لهم وما كادوا يعبرون أسوار القلعة سلوا أسلحتهم التي كانت مخبئة تحت برانيسهم ونزلوا على الأتراك ضربا وتقتيلا[7].

نشبت معركة بين الجانبين لكن خسائر الأتراك كانت جسيمة و لم ينج إلا عروج وعدد قليل من صحبته اختفوا في معبر سري وبعد هذا الانسحاب أصر عروج اللحاق بساحل البحر بأسرع ما يمكن حيث ينتظره أخوه خير الدين يستنجده فخرج ليلا محملا بكنوز بني زيان وأخترق الخطوط الأسبانية وشرع يسير من الناحية بني بزناس لكن القائد الأسباني علم بقراره

1 – صالح عباد، المرجع السابق، ص 48.

2 – كليل صالح، المرجع السابق، ص 101.

3 – عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 53.

4 – بسام العسلي، المرجع السابق، ص 105.

5 – مجهول المؤلف، غزوات عروج وخير الدين...، المصدر السابق، ص23.

6_ مبارك الميلي، المرجع السابق، ص50.

7 – محمد الطمار، المرجع السابق، ص 235.

فأرسل فرقة من الفرسان تتعقبه [1] ولحق به الاسبان خارج تلمسان بالوادي المالح " rio-alado " بنواحي عين تيموشنت[2] بدأت معركة يائسة بين الجانبين ومع قلة الأتراك الذي لم يزد عددهم من 43 جنديا عبروا النهر إلا أن الأسبان تمكنوا من إدراكهم و لم يتحمل عروج صرخات جنوده فقرر العودة إليهم وألقى بنفسه في صفوف الأسبان ضاربا بسيفه كل من لقاه من الأسبان إلا أن البحارة لم يتبقى لهم قدرة على القتال و لم قتل عروج بعد ما قتل 100 إسبانيا حيث سقط شهيدا فقطع الاسبان رأسه المبارك وبعثوا به إلى الملك كارلوس-شارلكان- [3]وهكذا انتهت حياة البطل الذي نشأ بحارا بسيطا وارتقى بجد وذكائه وشجاعته حتى صار أميرا عظيما ودام ملكه 14 سنة وكانت وفته في يوم10 ماي 1518[4].

المبحث الثاني:دور خير الدين في تأسيس إيالة الجزائر:

1-انضمام الجزائر إلى الدولة العثمانية:

بلغت أنباء فاجعة مدينة تلمسان إلى الجزائر، فساد الحزن خير الدين عزم على الرجوع والسفر إلى إقليم الروم للغزو ، فجمع أهل الجزائر من أعيانها وعلمائها والصلحاء والمشايخ [5]، وقال لهم: «إني قد عزمت على السفر إلى حضرة السلطان وقد أمنت بلادكم وما أخلفتهم عندكم من عساكر المجاهدين وقد وصل عندكم الكثير من السلاح والعدة وما تقومون به لجهاد عدوكم وإن عرض لكم أمر من أمور الأسبان فشاوروا علمائكم وصلحائكم».

ومن جملة ما خطبه العلماء:« أيها الأمير يتعين جلوسك لأجل حراستها ولا رخصة لك في الذهاب عنها وتركها عرضة للكفار، ونخشى أن لا يكون لك أجر في الجهاد ببلاد الروم ولأن هناك كثيرا من ما يقوم بها غيرك ومصلحتنا التامة هي إقامتك بهذه المدينة لأجل حمايتها»[6] .

1 - مبارك الميلي، نفسه، ص 50.

2 عمارة عمورة ، المرجع السابق، ص 191.

3- مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين...،المصدر السابق، ص ص91-92.

2- الطيب بن نادر ، الجزائر حضارة وتاريخ، " الحضارات المتعاقبة للجزائر و تاريخها المضرف" دار الهدى، مليلة، الجزائر، 2008، ص45 .

5 - أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص181.

6 - مجهول المؤلف، سيرة المجاهد...،المصدر السابق، ص94.

فرد عليهم بقوله:« إن بقيت في بلادكم غريبا لا ناصر لي فسيقع لي مثل ما وقع لأخي ، وقد ظهر لي من الرأي أن نعتمد في حماية هذه المدينة على الله سبحانه وتعالى ونصل يدنا بطاعة السلطان الأعظم مولانا السلطان سليم فيمدنا بالمال والرجال وجميع ما نحتاجه ولا يكون ذلك إلا بصرف الخطبة إليه وضرب السكة عليه فرضى أهل المدينة بذلك. »[1]

وعلى إثر طلب خير الدين من أعيان المدينة أن يكتبوا رسالة باسمهم إلى السلطان العثماني سليم الأول، يعرضون فيها استعدادهم لطاعته و يطلبون منه قبول رعايتهم لذلك أرسل وفدا خاصا إلى إسطنبول يترأسه أبو العباس أحمد بن القاضي ، على متن أربعة سفن وتحمل مع هذه الرسالة هدية عظيمة للسلطان أرخت هذه الرسالة في أوائل شهر ذي القعدة 925هـ وفي الفترة ما بين 26 من شهر أكتوبر إلى 03 نوفمبر 1519م[2].

جاءت هذه الرسالة تفيض بالولاء إلى السلطان سليم الأول ووصل الوفد إلى الأستانة فاستقبله السلطان في قصره الساحلي ووضع الهدايا أمامه وبعد إطلاعه على فحو الرسالة تكرم السلطان بقبولها وأبدى إعجابه بها وفي هذه الزيارة ،سلم السلطان فرمان[3] كان قد كتبه بعدما ورد فيه أمر بتعيين خير الدين بيلرباي[4] على الجزائر ثم سلمه السيف المرصع و خلع ة وراية الإمارة ، وقال لقائد الوفد: « أسمع أيها الرئيس قدم هذا السيف لخير الدين باشا ليتقلده بعزة وشرف وليلبس خلعتي السلطانية ولتكن رايتي دائما معه لا تفارقه، دعواتي لكم ليتولاكم الله بنصره وأن يبيض الله وجوه جميع خدامي المجاهدين بالجزائر، في الدارين بحرمة سيد المرسلين.»[5] المرسلين.»[5]

ورفع درجة الجزائر من نظام اللواء العثماني إلى نظام الأيالة العثمانية وولى خير الدين باشا على الإيالة الجديدة ومنح ابنه حسن بك البالغ من العمر 20 سنة رتبة لواء بحري-س نجق

1 – مجهول المؤلف، غزوات عروج وخير الدين...، المصدر السابق، ص42.

2 – عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ج2، ص 184.

3 – فرمان، (ferman) الأمر السلطاني الرسمي المكتوب الصادر في القضايا مثل منشور توضيح ... وكان يتم كتابته بالخط الديواني، سهيل صابان، المرجع السابق، ص 164.

4 – رتبة بيلرباي، بكلربكي: أمير الأمراء، وهو من أعلى المناصب في الدولة العثمانية، والبكلربكي هو مسؤول عن الجيش وما يتعلق به من أمور، سهيل صابان، نفسه، ص 64.

5 – جهول المؤلف مذكرات خير الدين ...،المصدر السابق، ص ص 95-97.

بك- بالإضافة مع ذلك أرسل أسطول إسلامي إلى الجزائر يحمل ألفين من الانكشارية وكمية كبيرة من العتاد والسلاح كما دعمهم بأربعة آلاف من المتطوعين الذين منحهم امتيازات الانكشارية[1] خطا خير الدين أركان الدولة الجزائرية وبهذا انضمت رسميا إلى الحاضنة العثمانية.[2]

2-حملة دييغوا دي منكادا عام 1519م:

بفضل الدعم العثماني تحول خير الدين من أمير للبحر إلى قائد للإيالة مرتبطة بالخلافة العثمانية ومتحالفة معها ضد الأسبان المسيحيين[3]، ومما زاد في تعزيز مكانه خير الدين اكتسابه ثقة أهلها عند التصدي للحملة الاسبانية على مدينة الجزائر سنة 1519م[4]، وذلك عندما أغتنم شارلكان الفرصة وما أحدثته هزة عميقة في نفوس الأتراك وهي وفاة عروج وانتصارهم في تلمسان فاتفقوا مع أبو حمو على أن يشارك الجانبان في هذه الضربة الحاسمة [5]، وأن يتخلص معا من خطر هذه الدولة الجزائرية الفتية وذلك بأن يهاجمها الأسبان من البحر وفي نفس الوقت تتقدم فيه نحو جيوش صاحب تلمسان[6].

فانطلقت هذه الحملة بقيادة دييغوا دي منكادا بأسطول بحري يضم 30 سفينة و 89 سفينة حربية وبعض القوارب[7]، وأشترك معه في قيادة الكتائب القائد الإسباني كونز نفومار رينوندي ربيرا "conzalvonarino de riberia"، وانطلقت هذه الحملة من جزيرة صقلية أواخر جويلية فنزل بالمرسى الكبير وأخذ الجند والعتاد منها ثم سار بعيد إلى بجاية أخذ منها جيش كبيرا و سلاحا ثم وصل أمام مدينة الجزائر يوم 17 أوت 1519م[8].

---

1 - يلماز أوزتونا، المصدر السابق، ص54.

2- Diêgo Haédo, op- cit, p36.

3 - مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق، ص 62.

4 - بسام العسلي، المرجع السابق، ص 109.

5 - عمار بحوش، المرجع السابق، ص 54.

6 -شوقي عطاء الله الجمل وآخرون، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر، ط 2، دار الزهراء للنشر والتوزيع، الرياض، 2002، ص86.

7 - كورين شوفالييه المرجع السابق، 39.

8 - أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة ...،المرجع السابق، ص 191.

نزلت القوات الغازية المتكونة من 5 ألاف رجل جنوب الساحل الممتد على يسار وادي الحراش وكان دييغوا دي مڤكادا الذي تموقع مع 1500 رجلا في كدية الصابون حيث كان كونر نفومارا يرى انتظار وصول ملك تلمسان بقوة برية وأثناء هذه الخلاف هاجم خير الدين المواقع الاسبانية وكان عامل المباغتة كبيرا.[1]

وعندما بدأ البحر بالهيجان توجهت قوة كبيرة من الأسبان نحوه لمحاولة انقاض القوارب والسفن فانقسمت القوات الاسبانية إلى نصفين ففتح الجااهدين أبواب المدينة وانطلقت حشودهم يدمرون القوات الاسبانية وفقدت قيادتهم السيطرة وباءت معزولة وعاجزة عن إدارة المعركة[2]، وفي الوقت الذي كان المجاهدون يدمرون بسيوفهم ونيران بنادقهم على كل ما يصادفهم، وهكذا لم يكد يسلم من العركة أحد وكان هذا اليوم عظيم وخالد يوم النصر المبين يوم الأحد 24 شهر أوت 1519م/ 525ه[3].

أما الجزء المتبقي في السفن فانتظر أمام المدينة لمدة أسبوع ، فهبت عاصفة عنيفة قضت على 26 سفينة اصطدمت بالصخور، كما قضت على معظم تموينهم ومات غرقا في البحر 4 ألاف رجل[4]،فقد خابت أمال الأسبان الأوروبيين بهذه الحملة، أما ملك تلمسان فقد نقض المعاهدة مع الملك شارلكان بأن أهل مدينة تلمسان أبو أن يناصروا الأسبان على إخوانهم المسلمين وهم الذين أرغموا الملك على عدم الوفاء بالعهد الذي قطعه للملك شارلكان بإرسال جيش لتأديب الحملة على الجزائر وتدمير ملكها[5].

3–القضاء على التمردات الداخلية:

في الوقت الذي دخل فيه أبو حمو إلى تلمسان ،كان خير الدين في مدينة الجزائر يفكر في أحسن طريقة ينقذ بها سلطانه فقد واجهته في آن واحد مصاعب عديدة لا تحصى إذ أن هزيمة عروج ومقتله تسبب في سلسلة من الانتفاضات وفي جهات مختلفة ضد سلطة الأتراك منها بلاد

1 – صالح عباد،المرجع السابق، ص 50.

2 – أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة ...،نفسه، ص 192 .

3 – بسام العسلي، المرجع السابق، ص 111.

4 – جون ــب ــ ولف، المرجع السابق، ص 33.

5 – صالح عباد، نفسه، ص 50.

زواوة و تنس و شرشال[1]، فبدأ خير الدين بمدينتي تنس وشرشال حيث انه في ربيع 927هـ/1520م، أرسل خير الدين قوة إلى تنس و شرشال في نفس الوقت فطلب قائدها النجدة من الحامية الأسبانية في وهران فقدمت في خمس عشر سفينة لمساعدته[2]، لكن الريس خير الدين أرسل ثمان عشر سفينة لدعم القوة التي أرسلها سابقا وقاد بنفسه قوة بحرية أخرى إلى ناحية شرشال وتوسع على قلعتها بعد مناوشات عديدة من الأسبان واسر خمس سفن للأعداء وجعلها عبرة لغيرها ثم عاد إلى الجزائر.[3]

أما عن قصة بلاد زواوة أو إمارة كوكو [4] فترجع جذورها إلى أن خير الدين عندما أدخل الجزائر للحاضنة العثمانية كان عليه توحيد البلاد التي كانت المتميزة بالانقسام وتضارب المصالح بين أفراد ذوي النفوذ المحلي لذا عين أحمد بن القاضي الغيريني سلطان على جبل كوكو المنطقة الشرقية[5] ، على يد القبائل والناحية الشرقي و لم يرتح الحفصيون وحاكم تلمسان لذلك[6] لذلك[6] فوجه السلطان الحفصي إلى سلطان تلمسان كتاب يقول فيه: « أنظر إلى مملكة الاتراك كيف استرقت بالجزائر وأن هذا الرجل الذي هو خير الدين إن دامت أيامه واتصلت في المملكة أعوامه فلا بد أن يتولى على مدينتها بطائفة قليلة من العسكر الذين كانوا يغزون معه في البحر وأما الآن فإن الإمداد تأتيه من السلطان العثماني في البحر وجميع ما يحتاج إليه متيسر من قبله وهو يتفرغ لي ولك وسلب منا ومنك أبائنا وأجدادنا فتدارك هذا الخرق قبل أن يتبع وأكون أنا وأنت عليه يد واحد وقد ظهر لي من الرأي أنك تضرب بـأن أحمد بن علي وبين خير الدين و أضرب أنا بين أحمد بن القاضي وبينه فإذا دخل هذان الرجلان في أيدينا ووقعت بينهما وبينه العداوة تأتي لنا جميعا ما ندبره عليه...»[7].

---

1 – مبارك الميلي، المرجع السابق، ج3، ص51.

2 – مجهول المؤلف، سيرة المجاهد ...، المصدر السابق، ص 78.

3 – عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 78.

4 – قبائل كوكو: سلالة بربرية من القبائل حكمة المنطقة " القبائل" وجبال جرجرة في الجزائر من " 1514- 1750م" مقرها جبل كوكو.عمار عمورة ،المرجع السابق ، ص 194.

5 – جبل كوكو، على بعد 18 كلم من أربعاء نايت أيراثن.عمار عمورة ،نفسه ، ص194.

6 – يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر...، المرجع السابق ، ص17.

7 – مجهول المؤلف، غزوات عروج وخير الدين...،المصدر السابق، ص14.

وبعد هذه المراسلات أتفق السلطان التونسي الحسن على تحريض أبن القاضي على خير الدين علما انه أخذته الغيرة الملكية فركب متن الفساد والفتنة بين نواب خير الدين [1]، فأعلن تمرده على خير الدين وأنضم إلى الحفصيين ملوك تونس معتمدا على ما يقدمونه من الدعم والتأييد[2] ، لذلك أصر السلطان التونسي على إخضاع الجزائر لسلطانه باعتبارها تابعة لدولة بني حفص وتآمر مع بن القاضي أن يجمع قواته ويستعد لانضمام القوات القادمة من تونس لأنه كان يخشى من انتقام خير الدين إلا أن أبن القاضي تظاهر بالولاء لخير الدين[3].

خرج خير الدين وهو يعتقد أنه سيرد غارة الحفصيين معتمد على جيش الأتراك وجيش أبن القاضي وما أن وصل إلى منطقة فليسة أم الليل حتى أدار جنود ابن القاضي سلاحهم ضد خير الدين والأتراك بحيث وجد نفسه بين ناريين وألحق به من جراء هذا التآمر خسائر فادحة و لم ينج إلا بنفسه وقليل من رجاله ، فانسحب بهم على قاعدته القديمة جيجل[4].

ويقول المؤرخ دي قرامون فيروري:« أستمر أحمد بن القاضي يستقل في متيجة ويخربها ودخل الجزائر فسلك فيها سيرة أدهى وأمر من سيرة الأتراك »[5]، استقر خير الدين في جيجل وأعاد تنظيم قواتهالعسكرية وعاد إلى القراصنة ليتمكن عن طريقها من جني ألفي رجل وأكسبهم كمليته البحرية احترام سكان المنطقة كما انه تحالف مع الأمير عبد العزيز ملك قلعة بني عباس[6] فوفر له قوات برية هامة[7]، وأخذ في التوسع على الشرق الجزائري فسيطر خير الدين الدين على القل في سنة 1521م، وعنابة في سنة 1522م ، و قسنطينة [8]، وبعد أن سيطر خير الدين على مواقع في الجهة الشرقية أدار وجه إلى الغرب وفي سنة 1524م وجه قواته نحوا جرجرة وعندما سمع أبن القاضي بقدومه قام بتحصين المنطقة ولما إتجه له خير الدين وقعت

1 -بسام العسلي، المرجع السابق، ص113.

2 - أبن ابي الضياف، المصدر السابق، ص14.

3 - مبارك الميلي، المرجع السابق، ص55.

4 - أحمد توفيق المدني، المرجع السابق، ص 196.

5 - كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص47.

6 - تحالف خير الدين مع عبد العزيز ملك قلعة بني راشد لأنه كان على عداء مع أبن القاضي الذي كان واليه في الجهة الشرقية ومتخاصم معه ، أنظر بسام العسلي، المرجع السابق، ص 114.

7 - شارل أندري جوليان، المرجع السابق، ص329.

8 - صالح عباد، المرجع السابق، ص51.

معركة بقدورة، أنهزم فيها أبن القاضي وتراجع ولما كانت أعداد جيش أبن القاضي أقل من جنود خير الدين وعلموا أنهم لا طاقة لهم وبملاقاة خير الدين تأمروا على قتل أبن القاضي[1].

4 –تحرير قلعة البنيون من الوجود الإسباني 1529:

بعد أن بسط خير الدين سلطانه على مدينة الجزائر وعدة مناطق داخلية فكر في التخلص من حصن الجزيرة الإسباني برج الفنار[2] ، على مدخل مدينة الجزائر لأنه كان في حاجة إلى ميناء ميناء تلجئ إليه سفنه وتتمون فيه البواخر ويكون منطلق قوي لسيطرة على البحر الأبيض المتوسط[3].

وفي هذه الأونة كان يحكم القلعة الضابط مارتن دوفارغاس " martin de fergas " في عهد شارل الخامس حيث كان يتواجد في هذا الحصن حامية متكونة من مئة وخمسين جندي ، اغلبهم كانوا بعائلاتهم بالإضافة إلى العبيد والخدم[4]، وكانت ظروف الحياة في هذه الموقع غير غير ثابتة وذلك منذ أن منع عروج تزويده بالمياه الصالحة لشرب والمؤونة فلجأت الحامية إلى إحضار كل شيء من وهران أو جزر البليار الإسبانية[5]، وبعد تولي خير الدين الحكم اجتمع مع مع حاكم القلعة وأمره:« إما أن تكفوا على ما أنتم عليه من أذية وأما أن أتفرغ لكم، ولئن

1 – قتل أبن القاضي بسبب الأعمال التعسفية وابتزازه فبرز له أعداء في وسط جماعته الذين أدوا إلى قتله في منطقة بني عيشة، أنضر مجهول المؤلف، غزوات عروج وخير الدين، المصدر السابق، ص135.

2 – برج الفنار، حصن البنيون، قلعة الصخرة شيدها الأسبان وذلك بتكليف الكونت بيدوا نفاروا الرئيس الأكبر للأسطول الأسباني سنة 1511 م و قائد أسطول بحر المتوسط ديكو دي فيرا بتشييد هذا البرج ويقع عرض البحر على مسافة 300 م من مرسى الجزائر، أنظر ، الحسن الوزان،المصدر السابق ، ص38 ، مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين....، المصدر السابق، ص 134.

3 –مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 56 .

4 – كورين شوفالييه المرجع السابق، ص 45 .

5 –عزيز سامح الترء المرجع السابق، ص86.

ظفرت بكم لا أبقي منك أحد.» فلم يلتفتوا إليه وتمادوا على ما هم عليه[1] ، فقور خير الدين بعد أن تم له تنظيم أمور الدولة عمل على تحرير برج الفنار فوضع مخططا إستراتيجيا يتمثل في 3 خطوات إستراتيجية:

أولا: تنفيذ مخطط شقيقه عروج بقطع الماء على القلعة فإضطر سكانها إلى خلط ماء البحر بالخمر ليتمكنوا من شربه[2].

ثانيا: البدء في تنفيذ مخطط الهجوم الإستعلاماتي – الجوسسة- بأن أرسل شخصين من سكان مدينة الجزائر تظاهرا بدخول الدين المسيحي وذهبا إلى القلعة حيث استقبلهم سكان القلعة فاكتشف أمرهما عندما صعدا إلى أحد الأبراج فأرسلا إشارات إلى المدينة من أجل التنبيه فكشفت أمرهما خادمة فشنقا وعلقهما بحيث يرهم أهل المدينة فجعل خير الدين يسرع إلى اتخاذ القرار في الهجوم على القلعة [3]، لكنه فاوض دون مارتان لتسليم القلعة والانسحاب منها دون أن يصابوا بأذى فرفض ما عرضه عليه خير الدين[4] فألتجئ إلى حل الثالث .

ثالثا: حينها نصب خير الدين مدافعه وصوبها نحو القلعة وبدأ في قصفها يوم 6 ماي 1529 م برمي القنابل الحديدية من المراكز التي تم تشييدها على مسافة 200 متر ودام القصف مدة أسبوعين[5]، كما أمر بتجهيز إلى السواحل الاسبانية من اجل الغزو والجهاد وخرجت السفن الحربية وشحنها بالرجال والعتاد وأذاع أنه سيبحر إلى السواحل الاسبانية من اجل الغزو والجهاد وخرجت السفن من وراء الصخور الجزائر وأخذت السفن إلى الشمال ، لكن تلك السفن عادة إدراجها تحت جنح الظلام وأختبئت في مرسى تاما نتقوس ، في الجهة المقابلة للجزائر على الطرف الأخر من الخليج [6].

وفي يوم الخميس 22 ماي أخذت بطاريات المدينة تقصف المعقل باستمرار، ذلك إلى يوم الخميس وليلة الجمعة إلى ما قبل الفجر ، ثم سكتت المدفعية وظن الأسبان أن هذا الدور من

1 – مجهول المؤلف سيرة المجاهد، ....،المصدر السابق، ص140.

2 – صالح عباد ، المرجع السابق، ص52.

3 –كورين شوفاليه، المرجع السابق، ص47.

4 – مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين...، المصدر السابق، ص135.

5 – أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص197.

6 –بسام العسلي، المرجع السابق، ص117.

المعركة قد إنتهى وأنهم يستطعون اخذ نصيب من الراحة وفي تلك الأونة بالذات كان الاسطول الجزائري يخترق الخليج من ناحية تاما تنفوس إلى الجهة المقابلة للحصن وأحاطت به السفن من الشرق والغرب وفطن الحراس الأسبان وأعلنوا الاستنفار ، غير أن الوقت فات إذ ما لبث الجيش الجزائري[1]،ثم نزل على أرض الحصن وأغاروا عليه وتمكنوا من اقتحامه فنشبت معركة حامية استسلم بعدها الجنود الأسبان .ولقد قتل 60 إسبانيا وكان عدد الأسرى 90 جنديا مع 25 امرأة وطفلا إضافة إلى قائد الحامية مارتان دو فارغاس[2]، وبعد هذا الانتصار قام خير الدين ببناء منارة المسجد الذي هدمها الأسبان وكلف الأسرى بإنجازها [3].ردا على قصفها بالمدافع من داخل القلعة عند سماعهم الأذان [4] ،كما قرر خير الدين إنجاز رصيف يربط جزيرة البنيون باليابسة فعندما وصلت صفن التموين الأسبانية بعد أيام من الاستسلام قائد الحامية شاهدوا أسرى الأسبان وهم يهدمون التحصينات ويستعملون الحجارة لشروع في بناء رصيف البحري الذي سيربط الجزيرة بالمدينة الجزائرية ويكون مخبئ أمن لسفن ضد عواصف البحر [5] وبلغ طول الرصيف 200 متر وعرضه، 25متر وعلوه 4 أمتار[6]، وبذلك استطاع خير الدين أن يربط بين الجزر ببناء دائري متين له بوابة تدخل منها السفن وأصبح مقر الأسطول الجزائري آنذاك يحميه من العواصف والرياح الغربية [7].

ما أن حقق خير الدين انتصاره العظيم بتحرير حصن البنيون وارتفعت سمعته بين السكان وتحمس هو أكثر للجهاد والمقاومة فأعد أسطول يشتمل15 سفينة [8] من نوع قاليرا "galers" "galers" وتوجه بها إلى الساحل الجنوبي لإسبانيا وقصف البلدان والمدن بالمدافع استمر في أسر

1 - أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص ص 198- 199.

2 - Diêgo Haédo, op- cit, p43.

3 - مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين ...، المصدر السابق، ص 136.

4 - مجهول المؤلف، سيرة المجاهد خير الدين ...، المصدر السابق، ص 144.

5 -جون- ب- وولف، المرجع السابق، ص 40.

6 - صالح عباد المرجع السابق، ص53.

7 - مصطفى عبد الله الغاشي، البحر الأبيض المتوسط في الإستراتيجية العثمانية القرن 16 في، العثمانيون والعالم المتوسطي تع: عبد الرحمان الودن و عبد الرحيم نجادة، ط1 ،منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، الرباط ، 2003 ، ص44.

8 - يحي بوعزيز، علاقات الجزائر ...،المرجع السابق، ص 38.

من يقع في يده ويحمل من يعثر عليه من مسلمي الأندلس إلى سفنه بعد أن ارسل له الباب العالي لنجدة مسلمي الاندلس[1] .

وعندما تفطن الملك الاسباني كارلوس بأن أيدن ريس قد حمل في سفنه ألفا من المسلمين أمر أكبر أميرالاته المدعو بورتوندو "portondo" أن يقطع طريق العودة على أيدن[2].

فاستعد الأميرال وتقدم على رأس أسطول مؤلف من 12 سفينة حربية و تتبع الأسطول العثماني إلى أن وجده في جزيرة من جزر البليار الإسبانية [3] ، التي تتوسط الحوض الغربي من البحر المتوسط بين شماله وجنوبه [4] ، وفي منتصف الليل هاجم الأميرال الإسباني فإنطلق أيدن بإنزال الأطفال والنساء لإنقاذهم من الهلاك وثم انطلق يهاجم الأسبان بقوة ومهارة فذهل الأسبان وأصبحوا وسط دائرة من الإرتباك لم يشهدوا لها مثيل في القتال البحري، فبدؤوا بترك سفنهم و الإتجاه إلى البحر مفضلين الغرق على الموت بالسيف.

وتمكن أيدن من قتل الأميرال وأسر سبع سفن وغرقت واحدة وفرت واحدة وغدت جثث الأسبان تغطي وجه البحر ، وبعد الانتصار أركب المهاجرين الأندلسيين في السفن مرة ثانية وأحضرهم إلى الجزائر سالمين غانمين ، فأعجب خير الدين بشجاعته ومهارته وأخبر السلطان بهذا النصر العظيم[5].

2- حمدان بن عثمان خوجة، المرآة ،تق وتع و تح:محمد العربي الزبيري، وزارة الثقافة ، الجزائر ،2007، ص107.

2 - مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين ...، المصدر السابق، ص140.

3 - الجزيرة يقال لها جزيرة فورميقة، أنظر، عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص88.

4 - أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة ...،المرجع السابق، ص 201.

5 - عزيز سامح التر نفسه، ص ص 88 - 89.

المبحث الثالث:تنامي قوة الجزائر وإشتداد الصراع العثماني الإسباني:

1-حملة اندريا دوريا على شرشال 1531م:

تعد سنة التي استولى فيها خير الدين على حصن الصخرة ،القاعدة التي انتزعها من الأسبان ومثلت خسارتها حافزا لتنظيم حملات إسبانية مضادة [1] ، كرد على شكاوي سكان السواحل الذين أرسلوا شكاويهم إلى السلطات الاسبانية من ما يعانوه من رعب وخوف بسبب الأتراك ومطالبتهم بإنقاذهم وتخليصهم منهم .[2]

كما كان للملك كارلوس أبعاد أخرى هي تحطيهم الدولة الإسلامية وإبعادها عن البحر الأبيض المتوسط وجعل المغرب العربي من ممتلكات إسبانيا والبرتغال [3] ، لذلك كلف الملك الإسباني الأميرال أندري دوريا [4]"André Doria".بقيادة حملة على مدينة شرشال في

1 نفيسة الذهبي ، "الدولة العثمانية في مجالها المتوسطي خلال القرن 16مبين إستراتيجية الجهاد وصراع الهيمنة" في، العثمانيون والعالم المتوسطي تع، عبد الرحمان الودان وعبد الرحيم بنحادة ، ط1، منشورات ملية الأدب والعلوم الإنسانية ، الرباط، 2003، ص85.

2 - بسام العسلي، المرجع السابق، ص120.

3 -أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة...،المرجع السابق، ص204.

4 - ولد أندري دوريا عام 1498 ذو أصل جنوبي عمل حارس لبابا في شبابه ثم أصبح قائد للأسطول الجنوبي عام 1513 كما عمل في خدمة الأسطول الفرنسي وبعدها دخل في ولاية الملك شارلكان الخامس عام 1528م، حيث أعتبر أول بحار في العالم المسيحي فحينما هاجم شرشال كان عمره 62 سنة ، أنضر عزيز سامح التر ، المرجع السابق ، ص203.

937هـ/1531م[1]، لذ شرع في إعداد أسطول وتجهيزه الذي ضم عشرين جفنا لما يحتاجه من العدة والعدد [2]، ثم أنه اختار شرشال كنقطة لإنزال قواته ، لاعتبارها موقع إستراتيجيا هاما وقربها من جزر البليار و الرجوع إلى إسبانيا لا يتطلب سوى بعض ساعات[3]، ويقال بأنه أختار تلبية لنجدة المساجين المسيحيين الذين كان أكثر من 800 شخص والانتقام من الأندلسيين وتشتيتهم[4].

أنطلق دوريا من جنوة في شهر جويلية 1531م ومعه 150 رجل من المقاتلين أمرهم بتحرير الأسرى المسيحيين والرجوع إلى السفن ،لكن الجنود انتشروا ينهبون المنازل و لم يسمعوا إنذار قائدهم بالالتحاق بقائدهم في السفن بعد تحرير الأسرى[5]، وعندما علم أهالي المدينة بأن أسطول قرب من القلعة، حصنوها بإحكام إغلاقوها، ولما كان الرجال الأسبان منهمكين في نهب ما وجدوه في المرسى انتهز سكان المدينة هذه الفرصة [6]، وانفدعوا يجرون بالتهليل والتكبير والتكبير وأحاطوا بالعدو ومن كل جانب وحالوا بين فرقة وبين التجميع كما حالوا بينهم وبين البحر في الوقت الذي كان المدفعية تقصف السفن الإسبانية فختل نظام العدو وساد فيه الفوضى والاضطراب[7]

أدرك دوريا خطورة الموقف جراء تعرض أسطوله للقصف المدفعي فقرر الانسحاب بسرعة[8] تاركا 600 أسير في قبضة الجزائريين أي خمس أضعاف الذين كانوا في يد الجزائريين كأسرى[9] وبهذا بات حملته بالفشل .

2- صراع خير الدين و شارلكان على تونس"1534-1535م":

1 - لنصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص145.

2 - مجهول المؤلف، غزوات عروج وخير الدين...، المصدر السابق، ص70.

3 - Diêgo Haédo, op- cit, p45.

4 - صالح حيمر، المرجع السابق، ص49.

5 - مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين ...، المصدر السابق، ص ص149- 150.

6 - بسام العسلي، المرجع السابق، ص124.

3- Diêgo Haédo , op- cit, p45.

4- صالح عباد، المرجع السابق، ص 53.

5- لمنور مروش، دراسات عن تاريخ الجزائر في العهد العثماني "القرصنة- الأساطيل -الواقع"،دار القصبة لنشر، ج2، 2009، ص 89.

كانت تونس تحتل موقع إستراتيجي هام مشرف على مضيق صقلية ، ذلك الممر الرابط بينها وبين حوض البحر الأبيض المتوسط [1]، واكتسبت أهمية خاصة في الصراع العثماني الأسباني في هذا البحر، لذا تبادل الطرفان المتنازعان احتلالها أكثر من مرة[2].

وكانت تونس في فوضى واضطراب وتسير نحو الانحطاط المستمر حول الصراع على السلطة حيث كان سلطانها الحسن بن محمد فقد أساء السيطرة في البلاد وقتل عدد من أخوته وخرج البعض الأخر عن طاعته وهذا ما زادها ضعفا و لم ينج من أخوانه إلا الرشيد الذي تجئ إلى خير الدين طالبا حمايته[3] .

وكان صيت خير الدين قد ذاع في الأفق وفي أوائل سنة 1533م، استدعاه السلطان سليمان القانوني إلى الأستانة ليتفق معه على أخذ الاحتياطات لصد هجمات الأميرال أندري دوريا الجنوي أجير شارلكان[4]، فعزم خير الدين على السفر إلى إسطنبول 1533م وعين مكانه مكانه حسن أغا الطوشي وأبحر خير الدين برفقة أربع وأربعون [5] سفينة (44 سفينة) [6]، وأستقبل في دار الخلافة وقلده رتبة قبطان باشا وزمام البحر من قيادة أسطول عثماني وامده ب: 80 سفينة [7]، 8 ألاف رجل انكشاري وكلفه بغزو تونس وفتحها قبل أن يغزوها الأسبان الأسبان ويستعمرونها بعد أن استنجد بعض أمرائها الضعاف بهم[8] .

1 – محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ،تر: محمد شاوش وآخرون، ط3، دار سترتاس ، تونس، 1993، ص 65.

2 – إسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص64.

3 – محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية ...، المرجع السابق، ص 684.

4 –محمد فريد لك المحامي، تاريخ الدولة العلية، تح إحسان حقي، دار النفائس، ط1، لبنان، 1981م، ص232.

5 – يذكر أحمد توفيق المدني: أنتقل خير الدين على راس أسطول يبلغ 20 سفينة، أحمد توفيق المدني حرب، ثلاثمائة سنة ...، المرجع السابق، ص 210.

6 –عيسى الحسن، الدولة العثمانية " عوامل البناء وأسباب الانهيار" ط 1، المطبعة الأهلية للنشر والتوزيع ، الأردن، ص150.

7 – أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة...، نفسه ص210.

8 – يحي بو عزيز، علاقات الجزائر ...،المرجع السابق، ص40.

قاد خير الدين هذه الحملة البحرية وقام بعدة غزوات في جنوب إيطاليا وجزيرة مالطا وجمع الغنائم واتجه إلى عنابة ، فوجد حسن أغا نائبه في مدينة الجزائر بانتظاره [1]، ثم تقدم نحو بترت برا في 16 أوت 1534م، وحلق الوادي بحرا فتمكن منها دون عناء ووقف على أسوار مدينة تونس وفتحت أبوابها وتقبله أهلها على الطاعة مبتهجين له [2] ولما سمح السلطان الحفصي دخول خير الدين خرج من تونس هاربا مستجيرا بالأعراب[3].

وفي 18 أوت أعلن خير الدين نهاية عرش بني حفص وخضعت له مدن الساحلية [4] أما السلطان الحسن فستصرخ بالإمبراطور الاسباني شارل الخامس الذي تهيأت له الظروف لاسترجاع المناطق التي حررت [5]، بحيث أن دخول العثمانيين إلى تونس كان دافعا قويا لتحرك القوى الأوربية المسيحية بزعامة البابا و شارلكان للهجوم على تونس وانتزاعها من خير الدين[6].

أخذ شارلكان يستعد لضرب الإسلام والدولة العثمانية أتم الاستعداد [7]، وأبحر سنة 31 ماي 1535م ، بعمارة عظيمة وجيش كبير لاسترجاع تونس إلى مالكها الأصلي المولى حسن الذي أستأجره[8]، وكان اسطوله متكون من 450 قطعة بحرية تحمل 30 ألف مقاتل إسباني وألماني ونابولي وصقلي تحت قيادته [9]، وعين أندريا دوريا والدوق دالب " duk-dalp" كمساعدين له في ذلك ، تحركت الحملة على قرطاجة في 14 جوان، بحيث وصلت إلى ميناء حلق الوادي بالقرب من البرج المائي ، ثم انزل الآلات الحربية وأنزل عساكرهم فقابلهم حيدر باشا بألف من العساكر و لم تكن القوة التي بيد القائد التركي كافية لمواجهة الأسبان لكنه قرر توزيع أسطوله في عدة أماكن مختلفة فكانت 7 قوادس التي بها سنان ريس من جربة لحراسة

1 – صالح عباد، المرجع السابق، ص62.

2 –أحمد توفيق المدني،نفسه، ص 211.

3 – أبن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 12.

4 –صالح عباد، المرجع السابق، 62.

5 – محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص367.

6 – روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية ،ط1، تر:بشير سباعي، دار الفكر ، القاهرة ، 1993م،ص225.

7 – أحمد توفيق المدني حرب ثلاثمائة سنة ...، المرجع السابق، ص 212.

8 – يوحنا أقطي ابكاريوس، قطف الزهور في تاريخ الدهور، ط2، بيروت، 1885م، ص573.

9 – صالح عباد، المرجع نفسه، ص62.

حلق الوادي والشواطئ القريبة من تونس[1] ،أما الجيش فكان يشمل نحو سبع ألاف من الأتراك الأتراك الذين جاء بهم خير الدين وخمس ألاف من التونسيين ، لكن النصر لم يكن حليف خير الدين هذه المرة [2]، فاستولى شارلكان على ميناء حلق الوادي في 14 جويلية 1535م، بعد أن أن أمر الآليات الأربعة بالقصف على القلعة ليلا نهارا وبعدها انزل جيشه وباشر الهجوم مع قصف مدفعي وضل حلق الواد صامدا خلال شهر كاملا ثم رد سنان رايس ورجاله ببعض الهجمات لكنهم انسحبوا بعد القصف الكثيف والمركز عليهم[3].

وبعد معركة عنيفة استولى شارلكان على حلق الوادي ، ثم احتل تونس التي أباح لجيشه نهبها ودام النهب ثلاث أيام، بحيث سقط في هذه المعركة عدد كبير من القتلى[4] ، و أن ثلث سكان المدينة الأسرى الأسبان وسمحوا لسكان بفداء أنفسهم بفدية تقدر ألف دينار لشخص[5]، لشخص[5]، كما انتهكوا حرمات النساء واقتحموا جامع الزيتونة العتيق وربطوا بداخله الخيول والبغال واحرقوا جانب من سقفه.

ومن العوامل التي ساعدت شارلكان عن تحقيق هذا النصر هو تمرد الأسرى المسيحيين بقصبة المدينة و إلتقم بهم ضد السكان خلال المعارك[6] وبعدما استولى شارلكان على تونس أعاد أعاد الحسن الحفصي على مناصبه وبالمقابل فرض عليه معاهدة في 6 أوت 1535م [7]تقتضي:

1- اعتراف الدولة الحفصية بتابعيتها للدولة الاسبانية .

2- التزام السلطان بأن لا يدخل بلاده احد من مهاجري الأندلس[8].

3- ملكية الاسبان المطلقة لمرسى حلق الوادي و قرطاجنة ومدينة عنابة ومهدية.

4- السماح للمسيحيين بإقامة شعائرهم الدينية بمنتهى الحرية.[9]

---

1 - عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص ص115-116.

2 - أحمد توفيق المدني، نفسه ص 212.

3 - عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 116 .

4 - لمنور مروش، المرجع السابق، ص 93.

5 -أحمد أبن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 14 .

6 - يحي بوعزيز، علاقات الجزائر ...، المرجع السابق، ص 40.

7 - أبن أبي دينار، المصدر السابق، ص 155.

8 - أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة ...، المرجع السابق، ص215.

9 - محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 233.

5- إطلاق سراح جميله الأسرى المسيحيين الموجودين في تونس.

6- يتعهد السلطان حسن الحفصي أن يقدم كل سنة 12 حصانا و12 مهرا للإمبراطور قبل يوم من العيد[1]

7- دفع 12ألف دوقة سنويا للإنفاق على الجنود المقيمين في حلق الوادي.

8 - إذ تخلف مولاي حسن على أي شرط يدفع 50 ألف دوقة وفي المرة الثانية 100 ألف دوقة وفي المرة الثالثة تؤخذ البلاد منه[2] .

تعهد السلطان الحفصي بشروط المعاهدة فأقيمت احتفالات كبيرة في وسط البابوية بانتزاع تونس من الأتراك[3].كما حصن حلق الود تاركا ألف جندي وعشر مراكب حربية و سافر إلى إسبانيا في 17 أوت 1535[4].

1 - محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية...، المرجع السابق، ص703.

2 -عزيز سامح الترر، المرجع السابق، ص ص 116-117.

3 - أبن أبي ينار، المصدر السابق، ص 155.

4 - محمد فريد بك، المصدر السابق، ص 233 .

الفصل الثالث

حملة شارلكان على مدينة الجزائر عام 1541م وانعكاساتها

المبحث الأول:حملة شارلكان على مدينة الجزائر عام 1541م و انكسارها

المبحث الثاني:انعكاسات الحملة على الإقليم الجزائري

المبحث الثالث: انعكاسات الحملة على الأقاليم المغربية

المبحث الاول:حملة شارلكان على الجزائر 1541م وانكسارها:

1- دوافع واستعدادات الحملة شارلكان:

عندما احتل شارلكان تونس 1534م، قرر توجيه حملة ضخمة ضد مدينة الجزائر للقضاء وقهر الدولة الجزائرية الفتية والفتك بالأتراك الموجدين بها لبسط سيطرته على الحوض الغربي للبحر المتوسط. وما إن استقر الوضع بأوربا راح شارلكان يدعو إلى وجوب القيام بعمل عسكري ضد الجزائر وشن عليها اكبر غارة عرفتها المدينة خلال القرن 16م، بحيث ارتبطت هذه الحملة بعدة أسباب ودوافع فهل كانت هذه الحملة موجهة للقضاء على نشاط الأتراك المسلمين في الحوض الغربي للمتوسط هو المسبب الرئيسي للحملة ؟ ام كانت لها خلفيات اخرى؟.

رغبت اسبانيا في تحطيم الجزائر، حيث أنها شهدت نشاطا كبيرا في تلك الفترة، اكسبها قوة بحرية وأصبحت مأوى للأسطول، خاصة بعد تحرير البنيون سنة 1529.

كذالك أن مدينة الجزائر كانت تراقب جميع الأطراف الكبرى للبحر المتوسط.ما أن رأى شارلكان الأوضاع في سواحل المغرب الإسلامي، سانحة لتسهيل السيطرة والاستيلاء وطرد الأتراك من الحوض الغربي للمتوسط وخنق فرنسا حليفة العثمانيين،كما أن انتقام الإسبان والتأهب لضرب الجزائر، بعدما استولى سليمان القانوني على المجر وجزيرة رودس 1522م وانتصارات خير الدين وانهزام دوريا في معركة بريفيزا 1538م[1]

وخاصة بعد ضمان حياد فرنسوا الأول الذي وقع في 1538 م معاهدة بين الحاكمين "شارل الخامس" و"فرانسوا الأول" دامت إلى غاية 1541م[2]، بتأثير من البابا "بول الثالث" الذي

1 - مولاي بلحميسي،"غارة شارلكان الخامس على مدينة الجزائر 948ه / 1541م بين المصادر الإسلامية والمصادر الغربية"،الأصالة، مطبعة البعث، الجزائر، العدد8 ، ماي-جوان 1972م، ص 95.

2 - جون –ب- وولف، المرجع السابق، ص 56.

قام بنشر حملة دعائية في البلاد يعلن فيها إن هذه الحملة ،حملة صليبية ومن واجب كل المسيحيين المشاركة فيها لمحاربة المسلمين.[1]

استغلال غياب خير الدين بربروس بالشرق، وتفرغه لقيادة الأسطول العثماني واعتقاده إن ذهابه إلى الشرق سوف يحطم القوة المعنوية لدى الجيش، واستغلالهم كذلك قلة وجود الجيش التركي و لم يكن يدري أن أهل الجزائر،أهل صمود وتحدي[2]

كما كانت حملة حسن باي بعدما تركه خير الدين وكيل البيلرباي يشرف على إيالة الجزائر في حين غيابه فقاد حملة مكونة من 30 قادرغة، على جبل طارق واستولى على قلعتها، وجعل منها قاعدة ينطلق منها للإغارة على الأراضي الاسبانية[3]

أما صاحب كتاب طلوع سعد السعود فذكر سبب الحملة هو :« أن شارلكان قد عمر مركب من مراكبه بالمال والسعة، وبعثه إلى وهران فأخذه ر ايس من الرياس في الجزائر يقال له كجك علي، ودخل به للجزائر بعدما وقع معركة بينهما ودخل به إلى الجزائر، فلحضره إلى حسن أغا وسأله عن أخبار النصارى ،فقال له:أن سفينة تركتها تريد القدوم الى بجاية فعندئذ أمر حسن أغا أن تتجهز له أغربة فتجهزوا في أسرع وقت وساروا الى طلبها بنواحي بجاية وكمنوا بموضع يقال له العش او النقار وكان من جملة رياس الجزائر كجك علي وبعد قتال عنيف وقعت هذه السفينة في قبضة الجزائريين ،ووقعت فيها النار فالتهبت أطراف السفينة وألقى الكفار بأنفسهم في الماء، فالتقطهم المسلمون من البحر واطفوا النار، ورجع الرياس للجزائر فارحين بهذه الغنيمة.»[(4)]

1 – احمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص ص 255- 256.

2 – مجهول المؤلف، سيرة المجاهد....، المصدر السابق، ص 209.

3 – مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين...، المصدر السابق، ص193.

4 – الأغا ابن عودة المزاري،طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا الى أواخر القرن التاسع عشر،ط1،تح وتع:يحي بوعزيز، دار البصائر ،ج1، الجزائر،2007م ، ص 218.

وكان أهل طاعة الإمبراطور اشتكوا إليه مما يفعله بهم أهل الجزائر، بحث أنهم قالوا لطاغية: إما أن تكفينا شر الجزائر ،وإلا نعطي الطاعة لصاحبها [1].لذا فاوض شارلكان خير الدين قبل الحملة في محاولة منه لإقامة حلف ضد كل من الإمبراطورية العثمانية وحليفتها فرنسا ،لكن خير الدين اشترط أن تكون له بلاد المغرب كلها، من سواحل المحيط الأطلسي إلى طرابلس الغرب ،لكن المفاوضات فشلت عندما اكتشف شارلكان أن خير الدين كان يطلع السلطان العثماني وملك فرنسا بتفاصيل هذه المفاوضات[2].

كما انه حاول استمالة خليفة خير الدين، حسن أغا بواسطة حاكم وهران **"الكونت دالكوديت"**[3]. **"LECONTE D'ALCAUDETE"** [4] وكانت هذه المفاوضات ترمي الى تسليم الجزائر الى شارلكان .فذكرت المصادر الاسبانية أن حسن كان موافق على ذلك وأنها كادت تنجح لولا موقف القائد محمد [5] واحتجاجات الجماهير مما جعل حاكم الجزائر يخشى على نفسه ، هذا غير صحيح وتجاهلت هذه المصادر الدهاء السياسي الذي عرف به الأتراك[6] ،فكيف يأتمن خير الدين على ريس غير كفئ، زيادة على ذلك كيف يقوم بعمليات ضد إسبانيا إذا كان مثلما تنعته به المصادر الإسبانية.

1 عيدودي فتيحة و آخرون، حملة شارلكان على الجزائر 1541 م وتأثيراتها الإقليمية والدولية، مذكرة لنيل شهادة ليسانس في التاريخ، المركز الجامعي الشيخ العربي التبسي، 2008/2007، ص 32.

2 – صالح عباد، المرجع السابق، ص 65.

3 – من سادة اسبانيا وضباطها الكبار عين والي على وهران ايام الاحتلال الاسباني من سنة1498-1558 تدخل مرار في شؤون بني زيان ،حاول احتلال مستغانم فقتل اثناء الحملة الثالثة سنة1558م ،مولاي بلحميسي ،المرجع السابق ، ص 99 .

4 – De Grammont Henri ,Histoire D'Alger sous la domination turque(1515-1830),Ernest Leroux Editeur ,Paris ,1887,p 57.

5 – يهودي الاصل جاء من مالقة وكان من الاعلاج ،مولاي بلحميسي ،نفسه، ص 97.

6 – مولاي بلحميسي،نفسه،ص97.

استعدادات الجانبين : أصحبت أوربا بكاملها تدين في معظمها لحكم ملك اسبانيا شارلكان، الذي حشد كل القوى والوسائط لحرب المسلمين إلا أن فرنسا استعصت عليه ووقف ملكها فرنسوا الأولى ضده،فلم يكن موقفه مضادا للصليبية بل كان ضد طغيان شارلكان[1].

ثم طلب الملك الاسباني من البابا سنة1539م إعانة مالية والذي أرسل بدوره إلى كاردينال طليطلة و رئيس أساقفة اشبيليا وأسقف قرطبة، كما راسل الجنويين وأمرهم بتحضير الأجفان وإعدادها وتحضيرها إلى السفر[2] وقد كان جيش شارلكان مؤلف من نبلاء اسبانيا و ألمانيا وايطاليا بإرسال المتطوعين ،كما أرسل البابا يوحنا الثالث جيش مع حفيده **كولونا**، كما ساهمت مالطا كذلك بمئة وأربعين فارس وأربعمائة راجل[3]من أفضل مقاتليها الأشداء فكان جيش شارلكان يبلغ 24 ألف رجل وألفي فارس، وقد ضم الأسطول 65سفينة حربية وأكثر من 400سفينة نقل من كل الأنواع والأحجام[4].كان شارلكان هو بنفسه يقود الارمادة وكان يرافقه اكبر قواده من ممالكه ممالكه وضباطها مثل **"اندريا دوريا"،"كورتس" " CAURTES"[5]و"الكونت دالكوديت""LE CONT D'ALCAUDETE"**

أما على الجانب الجزائري فبعد أن بلغه وصول الأسطول سارع إلى السعي لتخليص الأهالي من الهلع و الخوف الذي سيطر عليهم نتيجة القوة الكبيرة التي رست عندهم ،فاخذ حسن أغا يطوف بالمدينة الواهنة العزيمة يشحذ الهمم مذكرا إياهم بوصول خير الدين قريبا، ثم قام بجمع الرجال ووزعهم على الأسوار وفي المعاقل المحصنة و لم يحدث في حال من الأحوال أن ملك اظهر شجاعته أكثر من شجاعته وخبرته وحنكته التي يجب إظهارها في هذا الموقف[6].

1 – بسام العسلي، القانوني القائد، ط1، دار النفائس ، بيروت،1986، ص 128 .

2 –مجهول المؤلف، غزوات عروج وخير الدين... ،المصدر السابق، ص198 .

3 - De Grammont ,op-cit,p 58.

4 – جون –ب–وولف، المرجع السابق، ص56.

5 – مغامر ومتعطش لجمع المال، هو الذي فتح المكسيك بين1519–1521م، مولاي بلحميسي، المرجع السابق، ص 99.

6 – كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 91.

كما قام بعدة تحصينات للمدينة ورمم ما تهدم منها ونصب عليها وعلى أبراجها المدافع استعدادا لمقابلة العدو، واستعان بجماعة من زعمائها لرد الغزاة من بينهم **سيدي سعيد الشريف**- شيخ المدينة- **والحاج مامي** - رجل من أعيان العسكر- والقائد رمضان و القائد يوسف والقائد أرسلان و الحاج البشير- زعيم من زعماء الترك - والقائد صفر [1]، ومن السكان 200، ومن الموريسكيون الأندلسيون 500 مقاتل[2]، ولكي لا يتعرض أسطوله الى التدمير،كان من الضروري أن يقوم بأبعاده عن مدينة الجزائر.وعليه فقد كان من الطبيعي أن يركب معظم البحارة سفنهم ويبتعدوا بها عن المدينة[3]

2-المعركة الحاسمة : بعد التحضيرات التي دامت خمس سنوات اقلع أسطول شارلكان من مرسى ماهون يوم: 18 أكتوبر 1541م السابعة صباح [4] وكانت أخبار العمارة تتورد في كل حين،وفي كل وقت على الجزائريين ، وكان صاحب الناظور -حارس البحر- مكلف بمراقبة قدوم العدو[5]، وفي يوم 20 أكتوبر على الساعة السابعة صباحا، أقام الأسطول عرض عسكري رسمي لدى دخوله الميناء.وكان البحر سيئا وبعد الظهر ازداد الطقس رداء أكثر من بعد فلجأ الأسطول إلى تامنفوست[6]، وفي يوم 23 اكتوبر1541م، بداءت عمليات الإنزال بالقرب من وادي الحراش الحراش اليسرى[7]وهناك اخذ يترل جنده إلى البر.

1 - أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة ...،المرجع السابق، ص260.

2 - أما هايدو فيقول: وجود 1500 من الأتراك، و5000 من الأهالي منهم 3000 لأندلسي جاء حديثا إلى جزائر، ص 70، وكتاب مذكرات خير الدين يذكر أن حسن باي كان معه 600 بحار تركي و2000 فارس عربي متطوع ، مجهول المؤلف، غزوات عروج و خير الدين...، المصدر السابق، ص 199.

3 - De Grammont ,op-cit, p 60.

4 - Mahfoud Kaddach ,L'Algérien Des Algériens de la préhistoire à1945,Edition méditerrané ,Paris,2003,p 384

5 - مولاي بلحميسي،المرجع السابق، ص 100.

6 - عزيز سامح الترا،المرجع السابق، ص 157.

7 - Mahfoud kaddach , op-cit, p 384.

وعلى الساعة التاسعة صباحا نزل الإمبراطور على ارض اليابسة محاط بالإشراف ورجال الحاشية[1]، وفي يوم 24 أكتوبر قرر شارلكان بداء المعركة،وقسم الجيش الى ثلاثة أقسام: قسم يتكون من الإسبان وقسم يتكون من الألمان ،قسم أخر يتكون من الايطاليين وفرسان مالطا والمتطوعين الذين جاءوا من البلدان المسيحية [2]،وتولى هو بنفسه قيادة الأسطول في المعركة على رأس الفيلق الألماني وترك الفيلق الايطالي وفرسان مالطا مهمة حماية المؤخرة تحت قيادة حفيد البابا كميل كالونا،واستمر شارلكان في تقدمه[3].

وبعدها أرسل الى حسن أغا خطابا تهديدي مع احد فرسان اسبانيا،وهو دون لوريتزوا مانوييل" Don lorenzo Manel"[4]، يقول له فيها «أن القوة التي تراها اليوم ليست أنت فحسب، بل سيدك الكبير لا يقدر على صدها فإذا كانت لك عينان مفتوحتان، وتملك ذرة من العقل،ألق سلاحك واربط رأسك بمنديل،واتني بمفاتيح قلعة الجزائر ، وإذا أقدمت علي وقبلت الأرض بين يدي سوف أعفوا عنك،فأنا ملك اسبانيا ونابولي وصقلية وهولندا وبلجيكا وأمريكا،وإمبراطور ألمانيا، أن أباك وسيدك بربروس فر فزعا مني بتونس لا يلوي على شيء، فحذار أن تفقد عقلك وتشهر السلاح في وجهي، لأنك إن فعلت ذلك فإنني بعيسى بان سوف أمزق واعلق أشلائك على أبراج الجزائر...» [5]

فأجابه حسن أغا برسالة التالية:«غزت اسبانيا الجزائر في عهد عروج مرة، وفي عهد خير الدين مرة،ولا تحصل على طائل.بل أنهبت أموالها وفنية جنودها وستحصل المرة الثالثة كذلك، إن شاء الله....أمين»[6]

1 – أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة ...،المرجع السابق، ص 262.

2 – صالح عباد، المرجع السابق، ص 67.

3 – بسام العسلي، ،خيرالدين بربروس، المرجع السابق، ص 152.

4 - Diêgo Haédo, op-cit, p 77.

5 – أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة...،نفسه، ص264.

6 – مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين...،المصدر السابق، ص121.

ومع هذا الرفض الشديد أكد لشارلكان أن الجزائريين سوف يدافعون دفاعا مستميتا عن مدينتهم، لذلك بدأ شارلكان الاستعداد لقصف مدينة الجزائر، فقام بإنزال المدافع وأمر سفنهم بالتقدم الى الميناء لقصف المدينة من البر والبحر[1].

وفي ليلة 24-25 أكتوبر على الساعة التاسعة ليلا، بدأت الأمطار تتساقط وأخذت تزداد و سرعانما اضطربت السفن الراسية على الشاطئ بحيث أن كثير من السفن المسيحية قد قطعة حبالها وارتطمت بالصخور مع كل ما فيها من المؤونة والذخيرة ولكن اغلب الأسطول قد تحطم ، أما الجنود الذين لم يكون مستعدين لمثل هذه العاصفة فقد إبتلوا بالمطر مع بنادقهم وأسلحتهم وانهارت معنوياتهم[2]. وأمام هذا الوضع استغل الجنود الجزائريين الفرصة التي نزلت عليهم من السماء، ليخرجوا من الحصار المضروب عليهم مستغلين بذلك نزول الأمطار[3].

وفي مطلع يوم الثلاثاء 25 أكتوبر، خرج الجزائريين بقيادة **الحاج البشير** وانقضوا على الخط الاسباني المستقر أمام رأس تافورة، وواصل هجومه إلى إن اصطدم بالفرقة الايطالية التي كانت في المقدمة، فدب الرعب وسط الجنود وانهالوا عليهم بدون خوف طالبين الشهادة بحيث فروا هاربين والتحقوا بالمعسكر الكامل للفرقة الايطالية[4].

وما ساعد الجيش الجزائري في هذا الهجوم هو العاصفة السماوية التي ضربت أثناء المعركة[5]، طبيعة الأرض ومعرفتهم للأماكن والأسلحة التي استعملوها كالسهام والنبال والأقواس التي كانت أكثر فعالية تحت هذه العاصفة[6]، وعندما تعرضت القوات الايطالية لهجوم غير منظم من من قبل الأهالي تدخل فرسان مالطا ولو لا صمود فرسان مالطا لفني الجيش الايطالي ، وأسرع فرسان مالطا بالسيطرة على الممر المؤدي الى كدية الصابون،وبعد عبورهم تمكنوا من إيقاف

1 - أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص 264.

2 - جون –ب- وولف، المرجع السابق، ص ص 57 58.

3 - كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 59.

4 - بسام العسلي،خير الدين...، المرجع السابق، ص 154.

5- Kamal Chehrititl, Janissaires origines Histoire , Ed: l.a.g , Alger, 2005, p,56.

6 - كوين شوفالييه، الملرجع السابق، ص 96.

المهاجمين[1]، وكان لحسن أغا كذلك الدور الفعال،حيث هاجم فرسان مالطا ولكنه لم يقتحم مركزهم إلا أنه الحق بهم خسائر كبيرة.

وتوالت جهود الجزائريين وقدرتهم على السيطرة على الوضع بفضل وعيهم،وهذه المرة وضع **الحاج البشير** إستراتيجية جديدة. حيث أمر الجيش الجزائري بان يراجعوا في نضام ويعسكروا وراء الأسوار، وحصون المدينة دون أن يشتبكوا مع عدوهم الى أن يصبحوا تحت مدافع الحصون،وهذه الإستراتيجية أراد بها الحاج البشير استقرار العدو، واستدراجهم حتى وقعوا في الفخ، فلما أصبحوا على مقربة من حصن" **بابا عزون** " فتح الجزائريون الأبواب ودخل المجاهدون ثم أقفلت في وجه الفرسان، فانهال عليهم الجزائريون من وراء ظهورهم [2]، وعندما علم شارلكان بما حدث لجيشه، امتطى جواده وتقدم مع النبلاء والرجال الخاصة المهرة من فرسان مالطا لنجدة فريقهم، وأقتحم مع قواته منطقة الخطر، لكن الجيش الجزائري لم يتوقف عن القتال، فكان الرجال على الأسوار يرمون بالسهام البعيدة المدى، لكن الصليبيين لم يستطيعوا استعمال أسلحتهم النارية تحت وابل المطر، وبعدها اضطروا للانسحاب تاركين عددا من قتلاهم، وهكذا أسفرت معركة يوم 25 أكتوبر عن نصر جزائري عظيم[3].

نتائج المعركة:قرر شارلكان الانسحاب وأمر جنوده بالتوقف والاستراحة، وفي يوم السبت 29 أكتوبر 1941م، وصلوا إلى رأس ماتيفو وتعرضوا إلى هجمات الأهالي [4]، وبعدما صعد الجنود إلى السفن ثار البحر من جديد وذلك ما تسبب في غرق الكثير من سفن الأسطول المتبقية، وما إن توقف البحر عن الهيجان، ركبوا في ما بقي من الأجفان وسافروا إلى بلادهم وهم لا يصدقون النجاة[5].

1 – عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 160.

2 – De Grammont ,op-cit, p 61.

3 – أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة ...، المرجع السابق، ص 268.

4 – عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 163.

5 – الاغا ابن عودة المزاري، المصدر السابق ، ص 223.

ووضع بذلك نهاية لمشاريع شارلكان الخيالية نتيجة الخسائر الكبيرة التي مني بها، فكانت خسائره فادحة حسب ذكر الجاسوس الفرنسي إلى الملك فرانسوا الأول:« فقد شارلكان كل المدفعية والذخيرة الحربية والخيل و 130 سفينة و 17 قادسة دون الخسائر البشرية والمادية التي وقعت أثناء المعارك، وقد قدرت الخسائر المادية في التقرير بـــ 4 ملايين دوقة، كما سقط 12 ألف جندي اسباني تحت القتل والأسر»[1].

أما بالنسبة للجزائريين الذي حققوا نصرا عظيما غنموا كثيرا مما خلفه العدو فقد استولوا على أكثر من مائتي مدفع [2]، وكمية من السلاح، حيث عمدوا خلال ذلك وإنزال 5 سفن إلى البحر كانت متروكة على الشاطئ، واستطاعوا بواسطتها استرجاع 60 قطعة مدفعية من بينها 20 مدفعا من الحجم الكبير، تم تصليحها وسحبها إلى الجزائر[3].

وبعد هذه الانتصارات الكبيرة أطلق على حسن باي لقب الغازي، وقد كانت رتبة عسكرية في ذلك الوقت وهي "بحرية سنجق بك" [4]، وبعد هذا الانتصار العظيم الذي حققه الجزائريون أمام شارلكان الإمبراطور الأسباني الذي مني بهزيمة ساحقة، وبقيت الجزائر منذ ذلك الحين كالعروس تختال في حيلها وحللها من رخاء الأسعار وأمان الأقطار، و لم يبق لهم عدو يخافون منهم[5].

1 – لمنور مروش، المرجع السابق، ص 202.

2 – جون –ب– وولف،المرجع السابق، ص 59.

3 – كورين شوفالييه، المرجع السابق، ص 99.

4 – قائد لواء البحرية،مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين...،المصدر السابق، ص 208.

5 – مجهول المؤلف، غزوات عروج وخير الدين...، المصدر السابق، ص 122.

المبحث الثاني :إنعكاسات الحملة على داخليا

1-تحرير تلمسان 1554م:

أثر انكسار شارلكان وانتصاره الذي أحرزه العثمانيين على الإسبان سنة 1541 م على آذان تلمسان، وأثر على حاكمهم[1]، وكانت تلمسان في تلك الأثناء تشهد صراعا على العرش بين الأخوة لكن **عبد الله محمد** «**محمد السابع**»،الذي سيطر على كرسي الحكم وتوطئ مع الأسبان وخضع لهم[2].في الوقت الذي كان فيه حسن آغا يريد توحيد الجزائر، فانصرف إلى حل مشكلة تلمسان، إذ تبين له أن بقاء الأسرة الزيانية ووجود الأسبان في وهران يعيقان توحيد الجزائر[3].

فتوجه لها في سنة 1542 على رأس قوة عسكرية مؤلفة من 14 ألف رجل، ولما وصل المدينة عسكر عند أسوارها[4] ،وبعد أن عسكر على أسوار تلمسان التي فتحها محمد السابع دون مقاومة، وعد ملك تلمسان الأتراك أن يقطع كل تمويل عن الأسبان في وهران وفي نفس الوقت أرسل هدايا ضخمة إلى حسن آغا معلنا ولائه، فأرسل له حسن أغا 400 جندي تركي كحماية تستقر في قلعة المشور[5]، لكنه لم يثق في حاكمها « **محمد السابع**» ، فأبعده عن الحكم وعين مكانه أخاه "**أبو زيان أحمد**" ثم عاد إلى مدينة الجزائر[6] .

أما السلطان المخلوع محمد السابع فقد فر إلى وهران- كما ذهبا قبله - يطالب من الأسبان – الحاكم دالكوديت – النجدة والإعانة [7].الذين تقلص نفوذهم في المنطقة الغربية و لم يبقى لهم موالي من القبائل سوى قبيلة **بني عامر**، التي لعبت دورا في حوادث النصف الأول من القرن

1 - أحمد توفيق المدني "تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين"، الأصالة، العدد ،26 ،جويلية، أوت 1975،الجزائر ،ص44.

2 - محمد الطمار، المرجع السابق، ص236 .

3 - عيسى الحسن،المرجع السابق، ص158.

4 - صالح حيمر، المرجع السابق، ص110.

5 - مبارك الميلي، المرجع السابق، ص69.

6 - De Grammont. op- cit, p 69.

7 - أحمد توفيق المدني،تلمسان بين...، المرجع السابق، ص44.

السادس عشر فسرعت بزوال بني زيان حيث أنهم كانوا يتعاونوا مع النصارى [1]، وكان فرار أبو عبد الله محمد إلى وهران سنة 1542م حجة ودعما إلى والي وهران في توسيع نفوذه ومهاجمة تلمسان[2].

فاغتنم الكونت دالكوديت هذه الفرصة وأمد أبي عبد الله بقوة عسكرية قوامها ألف جندي و 400 من المرتزقة الأعراب[3]، واتجهوا نحو تلمسان فاصطدم مع أخوه أبا زيان وكان اللقاء بينهما **بشعبة اللحم** " بعين تيموشنت" في شوال 956ه/ جانفي 1543م لكنه هزم رفقة القوات الاسبانية ورد بخيبته[4]، ولما علم شارلكان بهذه الأنباء المحزنة زاده في غمه وكربه، لكن علم علم أنه إذا ما ترك الأمر للأتراك العثمانيين فإن أمال إسبانيا و أمال المسيحية كلها سوف تنهار، ولن تقوم بعدها قائمة، لهذا عزم أن يلعب ورقته الأخيرة وأن يستعيد سلطة الأسبان على تلمسان وينتقم للفاجعة التي حلت به في الجزائر سنة 1541م[5].

حصل دالكوديت على إذن بتجهيز حملة عسكرية مكونة من أسطول يضم 22 سفينة خرج بها من إسبانيا يوم 10 جانفي 1543م، و لم يصل إلى المرسى الكبير إلا في يوم 15 جانفي بسبب العاصفة التي إعترضته[6]،ومع هذه الإمدادات، سار الجيش إلى تلمسان بقيادة الكونت داكوديت ومولاي عبد الله على رأس جيش يتكون من 12 ألف من المشاة وألفي فارس يدله على طريق **أحمد بن رضوان** وعراب قائد أولاد خلافة[7] .

وفي 27 جانفي 1543م حاول محمد أن يتفاوض مع الكونت دالكوديت الذي رفض عرضه المتمثل في إعطائه كمية هامة من النفوذ لكن الكونت لم يرد عليه إلا بالمواصلة السير إلى

1 – مولاي بلحمسي، "نهاية دولة بني زيان"، الأصالة، العدد ، 26 ،جويلية، أوت 1975،الجزائر ،ص 33.
2 – عزيز سامح التر،المرجع السابق، ص169.
3 – صالح حيمر، المرجع السابق، ص111.
4 –عبد الرحمان الجيلالي، الرجع السابق، ج3، ص307.
5 – أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة ...، المرجع السابق، ص ص ، 290- 291.
6 – صالح حيمر، المرجع السابق، ص111.
7 – صالح عباد، المرجع السابق، ص70.

تلمسان التي وصلها في أوائل شهر فيفري[1]، وصلت القوات الاسبانية إلى واد اليسر في 2 فيفري والذي كان في حالة فيضان فهاجم قائد قبيلة بني راشد "المنصور" ومن معه ممر النهر رفقة 20 ألف مقاتل للإيقاف زحف القوات لكن المنصور تراجع نظرا لكثرة القتلى في صفوفه، فتمكن الأسبان من عبور الود حتى بلغوا حصن تبيدة فعسكروا فيه.

وفي 05 فيفري تواجه الأسبان مع جيش مولاي أحمد، الذي ضم 8 آلاف مقاتل محلي و400 تركي جزائري، وبدأ القتال بين الطرفين دام حتى الساعة العاشرة مساء، توقف القتال وانسحب الأتراك والملك الزياني مولاي احمد إلى قلعة دون مارتين دي كوردوفا " DON MARTIN DE CORDOVA"[2]

في حين أتخذ الاسبان مواقعهم بين أشجار الزيتون المحيطة بالمدينة فقدم رؤساء المدينة وأعيانها لمبايعة أبي عبد الله وفي اليوم الثاني فتحوا ابواب المدينة فعمد الأسبان لنهب تلمسان نهبا وسلب[3]، وأقام حاكم وهران أسابيع بتلمسان يحارب القبائل الخارجين عن طاعته وينهب أرزاقهم أرزاقهم ويأسروا أطفالهم وكان النصر تارة لفريق وتارة لفريق آخر.

وفي 26 فيفري ، أخذ من الأمير الجديد يمين الولاء والطاعة و لم يبقى لبني زيان أمر ينفذ ولا مستقبل مضمون وفي 01 مارس رجع الكونت دالكوديت إلى وهران[4]،وفي طريق العودة تعرضت القوات الاسبانية لهجمات الجزائريين من كل جانب وألحقت بهم خسائر كبيرة حيث لم يتمكنوا من الوصول إلى وهران إلا بعد متاعب جمة ومطاردتهم حتى الواد المالح[5]، وبخروج الإسبان أصبحت مسألة نهاية بني زيان مسألة وقت فقط ربما يستعد الأتراك العثمانيين لفتحها نهائيا..

1 – مبارك الميلي، المرجع السابق،ص70.

2- De Grammont, op- cit, pp, 69-70.

3 – عزيز سامح الترا،لمرجع السابق، ص170.

4 – مولاي بلحميسي،نهاية بني زيان... ، المرجع السابق، ص35.

5 – صالح حيمر، المرجع السابق، ص113.

في هذه الأثناء نهضت الدولة السعدية بالمغرب الأقصى وبدأت الحركة التوسعية ورغبتها في السيطرة وتوسيع رقعتها على حساب المغرب الأوسط وبني زيان وتلمسان.فجهز الشريف محمد الهادي مؤسس الدولة السعدية ، جيش قوي مكون من 12 ألف فارس و 10 ألاف من المشاة ووضعه تحت قيادة أبنه "محمد الحران" وبعث لتولي فتح تلمسان وبلاد المغرب الأوسط سنة 1550م[1].

توجه الأمير من فاس قاصدا تلمسان وحاصرها مدة 09 أشهر، ثم تم له فتحها يوم الاثنين 23 من جمادي الأول 957ه/1550م و أجلى الترك عنها، وانتشر حكمه من تلمسان إلى واد الشلف كما زحف على مستغانم[2] وأخذ يتقدم في اتجاه مدينة الجزائر مما أكد نوايا السعديين العدو إليه ضد السلطنة التركية بالجزائر .

في هذه الأثناء إستعد حسن باشا بن خير الدين لمواجهة الأسبان بوهران [3]، فجهز جيش مؤلف من 14 ألاف جندي منهم 5 ألاف رجل من رماة البنادق وألف رجل من الصبايحية و 8 ألاف رجل من القبائل بني عباس مع 10 مدافع[4]، بقيادة حسن قورصو الذي كان يستعد لمواجهة الأسبان بوهران لكنه عندما بلغه أن الملك السعدي قد أحتل تلمسان استبدلا وجهته إلى الجيش السعدي للانتقام منه[5]، وكان الأتراك قد بلغوا جدار تلمسان يوم 15 جوان 1552م فهاجموا الفرسان المغاربة الأتراك فقابلهم هؤلاء بنيران البنادق فرد عليهم الأتراك،وألحق بهم هزيمة وقتل مولاي عبد الرحمان في المعركة الواقعة في حوض الشلف أما أخوه عبد الله فر إلى المغرب فتتبعته القوات التركية إلى واد م لوية[6]، وبعد ذلك اتجه حسن باشا الى تلمسان، وعزل أبا زيان أحمد عن

1 – أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة ...، المرجع السابق، ص306.

2 – محمد الطمار، المرجع السابق، ص237.

3 – يحي بوعزيز، المراحل والأدوار التاريخية ...، المرجع السابق، ص27.

4 - Diêgo Haédo, op-cit, p 85.

5 – أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة ...، المرجع السابق، ص308.

6 – مبارك الميلي، المرجع السابق، ص70.

العرش وعوضه بالامير حسن بن عبد الله الزياني-اخوه-، تحت لإشراف القائد التركي **سفطة** [1]، مع حامية قدرها 1500 جندي،في قلعة المشور.

وفي عهد صالح رايس[2]،أظهر حسن بن عبد الله ميوله للإسبان، فعزله نهائيا،بطلب من اهل المدينة وعلمائها أثناء تواجده في تلمسان، وأعلن صالح رايس نهاية دولة بني زيان وانضمام تلمسان نهائيا لدولة الجزائر الفتية،وذلك سنة 1554م/962ه.كما وضع حدا لتدخل الإسبان،فقطع كل أمل لهم في احتلالها مرة اخرى[3] .

2-تحرير بجاية: 1555م

لم يكن صالح ريس يهتم قبل كل شيء إلا بمحاربة الأسبان وجمع القوى الإسلامية وتطهير البلاد من التواجد المسيحي فبعدما آمن تلمسان سنة 1554م توجه أنظاره إلى الجهة الشرقية وخاصة بجاية التي دخلت تحت السيطرة الأسبانية منذ سنة 1510م،وقرر هذا العمل عندما علم بأن القوى الاسبانية بمدينة بجاية في حالة ضعف وانهيار [4] فتذكر المصادر الأوربية أنه لم يكن في المدينة سوى 500 رجل ضعيف التسليح أما التحصينات فقد كانت في حالة سيئة [5] ، فاغتنم صالح رايس هذه الفرصة فتوجه في شهر جوان 1555م، عن طريق البر مصطحبا معه اربعة الألف محارب[6] والفرسان المسلحين بالبنادق والقذيفات، من جهة البحر واصطحب 22 من السفن الحربية الصغيرة والقاليرات[7] وكمان حاكم بجاية الاسباني " الدون الونزواكا يلو" قد عرف مسبقا

1 - يحي بوعزيز، المرجع نفسه ، ص27.

2 - أصله من الإسكندرية، يعد من أبرز رياس الاسطول العثماني، عرف بشجاعته،حكم الجزائر من1552 1556م

3 -محمد الطمار،المرجع السابق، ص238.

4 - عيسى الحسن، المرجع السابق، ص166.

5 - صالح حيمر، المرجع السابق، ص118.

3- وزارة الاعلام والثقافة، بجاية، سلسلة الفن والثقافة ، الشركة الوطنية لنشر، الجزائر، ديسمبر1975م

7 - مرمول كربخال، المرجع السابق، ص 380.

بتحرك القوات الجزائرية، فأرسل لاسبانيا يطلب الدعم، وعمل في الوقت ذاته على تخزين مواد التمويل بكميات كبيرة تكفي لحصار طويل[1].

وفي هذه الأثناء ارتفعت مياه وادي الصومام بسبب الأمطار التي تهاطلت فاستطاعت السفن الاجتياز بكل سهولة إلى ما خلف المدينة على مسافة 5 كلم تقريبا.فاغنم صالح رايس هذه الفرصة وأدخل السفن من مجرى الوادي إلى أن استقرت خلف القلاع فأنزل مدفعيته والآلات الحربية ونصبها على المدينة بغاية الإحكام [2].

وفي 16 سبتمبر بداء القصف المدفعي على القلعة بشدة باستعمال بطاريتين أحدهما في 6 قطع والأخرى في 8 قطع من النوع الكبير المعيار، و بعد قصف دام يومين تم تدمير حصن قصر الإمبراطور فأخلى رجال الحامية القصر وتوجهوا إلى القصبة[3] واستنجد القائد إلى الأميرة جان خوانة بنت شارلكان أن تأمر بإرسال الإعانة الضرورية، من إسبانيا بأقصى سرعة فأمر قائد بجاية الدون بيدروا قائد حامية الحصن المتكونة من 150 رجل بتخريب ما تبقى من الحصن ومغادرته[4] ومغادرته[4] ، وبعد ذلك وجه الجزائريون نيران مدافعهم نحو معقل باب البحر الذي يحمي أسفل المدينة، وكانت جدرانه سميكة وأستمر القصف مدة 5 أيام، وكان الأسبان يدافعون دفاعا مستميتا[5] ونجح المجاهدون في تحديد مكان مخزن البارود ووجهوا إليه نيرانهم المحكمة، ما أدى إلى انفجار المخزن بقوة دمرت جدران الحصن، فاندفع المجاهدون بعنف وقوة وتحولت المعركة إلى اشتباك دموي بالسلاح الأبيض[6].

1 – بسام العسلي، الجزائر والحروب الصليبية (1547-1791 م)، ط3، دار النفائس، بيروت، 1975م، ص78.

2 – أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة ...، المرجع السابق، ص323.

3- De Grammont, op- cit, p 81

4 – صالح عباد، المرجع السابق، ص79.

5 – أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة .... ، المرجع السابق، ص325.

6 – بسام العسلي، الجزائر والحروب الصليبية ...، المرجع السابق، ص79.

فأسروا 43 شخصا كانوا على قيد الحياة من أصل 60 شخص كانوا يشكلون الحامية [1] وبقيت هناك عقبة أخرى وهي عقبة القصر الكبير، حيث كان يعتصم قائد الحامية بييرالك مع بقية أفراد حاميته، وعززا هذا الحصن ببناء جدار دفاعي جديد، أشترك في بنائه رجال الحامية حتى النساء والأطفال والعبيد في الليل والنهار[2]، وعندما تأكد صالح رايس من نجاح حملته أرسل رسالة إلى حاكم بجاية يطلب منه الاستسلام، جاء فيها:

« أنا ملك الجزائر أكتب إليك يا حاكم مدينة بجاية لقد رأيت كيف أن رجالي، استطاعوا احتلال معقلين من معاقل دفاعكم، ثم انك ولا ريب تعلم أنني عقدت العزم بصفة حاسمة على هذه القلعة التي تدافعون عنها أيضا...، وبما أنه اقتربت ساعة سقوط المدينة، وأنك لن تستطيع أصلا النجاة والإفلات من قبضة يدي فأنا أطلب إليك أتستسلم وتسلم المدينة لي، وأنا أتعاهد لك مقابل ذلك بأنني لن أمسك أنت وأي رجل من الرجال الملتفين حولك بسوء أما إذا استمر بك العناد، فلن يكون ما لكم إلا الموت جميعا»[3].

لكن قائد الحامية رفض الاستلام، واستمرت المقاومة لمدة 5 أيام أخرى، وعندما جمع حاكم بجاية وقائد حاميتها الرجال حوله تشاور معهم، فأشاروا عليهم على وجوب الاستسلام و لم يكن عددهم يزيد على 120 مقاتل[4]، فأرسلوا إلى صالح ريس يعلمونه بالاستسلام، فسمح للجرحى والمعطوبين وكان عددهم 120 شخص توجه إلى إسبانيا[5] أما الدون الونزو فقدر من بنفسه على سطح السفينة من نوع قرافل (karavel) نقتله إلى ألفنترا أحدى المدن الاسبانية[6].

وهنا فقد اختلف فيه بعض المؤرخين بحيث إن المؤرخ الغربي مرمول كربخال يقول في كتابة أفريقا: « ولكن القائد التركي لم يف بوعده، بل أنه استرق جميع من كانوا بالحصن ماعدا الدون

1 – صالح عباد،المرجع السابق ، ص79.
2 – بسام العسلي،نفسه، ص79.
3 – أحمد توفيق المدني، نفسه، ص 326.
4 – بسام العسلي،المرجع السابق، ص80.
5 – صالح حيمر، المرجع السابق، ص 120.
6 – عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص195.

ألفونس .....».،و لما عاد دون لويس دي التالي إسبانيا سجنه الإمبراطور شار لكان مع من استسلم وقد صر عليه الحكم بالإعدام وقطع رأسه أمام الملاء في ساحة مدينة بل الوليد " valla dolid"[1].

وهكذا دخل صالح ريس بجاية وتم تحريرها في 28 سبتمبر 1555م وتطهير من الأسبان، في وسط تهليل وتكبير الأهالي الجزائريين وكان تحريرها انتصار كبيرا للدولة الجزائرية وصدمة عظيمة للأمم المسيحية وخاصة أسبانيا.

3-تحرير مستغانم: 1558م

بعد عودت الكونت دالكوديت من تلمسان شرع في تحضير حملة عسكرية على مستغانم، فأعد جيشه ، وخرج له يوم 21 مارس 1543م، متوجها إليها، وتمكن من احتلال مزغران ومكثوا بها ثلاث أيام، قبل أن يصلوا إلى مستغانم لكنه سمع أن الحامية الجزائرية التي كانت بها، فانسحب إلى وهران لكي يتفادى هجمات الجزائريين غير أن انسحاب القوات الاسبانية لم يمر بسلام فتعرضوا إلى هجمات القبائل، فأخذوا يتعقبونهم من فوق المرتفعات إلى أن وصلوا وهران في أول أفريل، ومني دالكوديت بهزيمة فادحة[2].

لكنه عاد إليها في 21 أوت 1547م ودخل مزغران دون مقاومة وتابعه مسيرته إلى مستغانم، فباشر بقصفها بالمدفعية واستمر قصفها ثلاث أيام ونفذت عليه الذخيرة وأرسل إلى وهران للإحضار البارود[3] فوصلت الإمدادات لكن هذا اغا تقدر بـــ 25 ألف نقاتل، وبعد مناوشات عديدة بين الطرفين أنسحب الكونت في 28 أوت وفر إلى وهران ووصلها بعد ثلاث أيام[4] ، لكن الهزائم لم تثني من عزيمة حاكم وهران دالكوديت، فأعاد لها الكرة في سنة 1558 موكان حسان أبن خير الدين قد تقلد للمرة الثانية بيلر باي على الجزائر وذلك في شهر شعبان

1 - مرمول كربخال، المرجع السابق، ص 280.

2 - صالح حيمر، المرجع السابق، ص ص 113-114.

3 - De Grammont, op- cit, p 75.

4 - عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص، 175.

الموافق ل 964هـ/ 1557م وكان لذلك أصداء قوية من طرف الأهالي وعادت ال ثقة للمجاهدين[1]

وذهب الكونت حاكم وهران دالكوديت إلى بلد الوليد حيث حضي باستقبال كبير، وطلب من ملكتهم المساعدة وأن تمده بـ 6 ألاف محارب يغزوا بهم مدينة مستغانم، كما وعده الشريف وعرب مليانة بأن يمدوه بالإمدادات والحرس والقوات فحصل على مراده، وأنطلق من مالقه ومعه عدد من نبلاء الأندلس والأسبان، وجيش يقدر بـ 6 ألاف محارب[2].

وكما أرسلت إليه كذلك قوات إضافية قدرها كذلك 6 ألاف من قراصنة، وما إن وصلت هذه القوات بقيادة أبن دالكوديت حتى خرج حاكم وهران إلى ناحية جبل تساله، غير أن العرب لم يأتوا فاستهلك مئونته في انتظار ووصولهم، لكنه عاد بعد الانتصار إلى وهران[3].

وفي 22 أوت انطلقت القوات الاسبانية بقوام، 12 ألف رجل تحت قيادة دالكوديت نحو مستغانم، كما أنضم إليه الكثير من الأعراب المرتزقة[4] يقودهم المنصور بن بوغانم، ومن معه من بني عامر، ومن بني راشد بالإضافة إلى مدفعية ضخمة وكميات وافرة من الذخائر وعدة سفن محاذية للجيش تحمل المؤونة والوسائط القتالية الثقيلة[5]، لكن حسن باشا كان يراقب تحركات دالكوديت فسارع فاتخذ الاحتياطات اللازمة حيث توجه في 06 أوت قاصد مستغانم على رأس 5000 ألاف جندي و1000 فارس و 10 مدافع وأثناء الطريق انضمت إليه إعداد معتبرة ن المجاهدين الجزائريين[6].

وانطلق في نفس الوقت الأسطول الجزائري الذي كان مستعد كل الاستعداد لمجابهة الخطر، ما كادت السفن الاسبانية تغادر ميناء أرزيو، حتى تصدى لها الأسطول الجزائري فاستولى

1 – بسام العسلي، الجزائر والحروب...، المرجع السابق، ص83.

2 – مرمول كربخال، المرجع السابق، ص ص 332-333 .

3 – صالح عباد، المرجع السابق، ص 84.

4- De Grammont, op- cit, p 88.

5 – بسام العسلي، نفسه، ص84.

6 – صالح حيمر، المرجع السابق،ص121.

عليها جميعا، ونكل كل ما كانت تحمله إلى صفوف المسلمين [1] ،وكان دالكوديت يرى مع جيشه هذا المصيبة التي حلت بهم، فأصبت القوات الاسبانية بخيبة أمل كبيرة وتحطمت معنوياتهم منذ اللحظة الأولى وبدأت علامات المجاعة تظهر على وجوهه [2] دخل الأسبان مدينة مزغران في 23 أوت دون مقاومة وحطموا بواباتها الضخ مة البديعة لكي ينحتوا من حجارتها مقذوفات لمدافعهم، ثم أسارعوا في السير بجيشهم الكثيف يريدون الاستيلاء على مستغانم،[3] وهنا أصبح الجيش الأسباني يعاني من نقص التغذية حيث لم يجد الجنود ما يقتاتون به، ولكن لم يبقى أمام دالكوديت سوى حل واحد وهو الهجوم على مستغانم بغية الحصول على بعض احتياجاته قبل ما يصل إليها أتراك الجزائر[4].

وهنا وقعت معركة ضاربة مع قوات المجاهدين من عرب الضاحية الذين وصلوا دعما للمدينة، قبل وصول الجيش الجزائري، وتمسكوا من الدخول إلى المنطقة الدفاع رغم الحصار الأسباني وفي 25 أوت ترددت أصداء وصول الجيش الجزائري بقيادة حسان ابن خير الدين إلى شرق المدينة وجنوبها واقتحم الجيش بمجرد وصوله المعركة ودخل المدينة فور وصوله[5].

وحاصر القوات الأسبانية مباشرة، وانتقل الأهالي الذين كانوا إلى جانب الأسبان إلى الصف التركي، فاشتدت المناوشات بينهما، وعندما علم قائد الحامية أنه لا طاقة له لمقاومة الأتراك قرر الانسحاب[6] ،وكان ذلك في منتصف الليل مع جيشه متوجها إلى مزغران حتى أنه ترك عدد من الجنود الجرحة والأسرى تحت قبضة الأتراك

وهما في السير، وإن الجيش التركي والأهالي قد خرجوا وأجهزوا عليهم، لأنهم لم يتمكنوا من قطع مسافة كافية بسبب عطب بعجلة أحدى المدافع، وأضطر الجيش إلى التوقف، إلى الصباح،

1 – أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص ص 350-351.

2 – عزيز سامح التر ، المرجع السابق، ص205.

3 – أحمد توفيق المدني، نفسه ، 351.

4- De Grammont, op- cit, p 88

5 – بسام العسلي،الجزائر والحروب الصليبية ...، المرجع السابق، ص 86.

6 – صالح عباد، المرجع السابق، ص 85.

لأن القائد رفض التخلي عن تلك القطع الحربية، ولكنه لم يستمع إلى رأي جيشه الذي طلب منه أن يدفنها في الرمال، و لم يأخذ برأيهم لوصل إلى مزغران في الوقت المناسب[1].

لكن حسن باشا أدرك مؤخرتهم في بداية النهار، على مقربة من مزغران وكان الجيش الأسبان أشتد عليه الضيق لأن المسالك كانت مسدودة والضغط الإسلامي كان شديدا قاهرا فانقلب الانسحاب الاسباني إلى هزيمة، وأصبح كل إسباني يفكر في النجاة بنفسه إلى أن وصلوا بلدة مزغران، وما إن وصلوها تدافق الأسبان نحو أبوابها في فوضى واضطراب، وهم في حالة رعب و لم يعلموا في تلك الساعة الرهيبة أنهم يدسون تحت أقدامهم جثة قائدهم دالكوديت، الذي كان يحاول تنظيم صفوف جيشه[2] ،أما أبنه فكان في عداد الأسرى، و لم ينجى أحد من الجيش [3].أما جثة الكونت دالكوديت فقد سلمها الجزائريون بكل أحترم إلى أبنه الأسير دون مارتان قرطبة وكلف في يوم الغد فارس من فرسان الأهالي بنقل جثته إليه إلى وهران أين دفن في كنيسة القديس "دومنيل" [4].

وهكذا أنتصر الجيش الجزائري وانتهت المعركة يوم الجمعة 12 ذي القعدة الموافق لـــ 26 أوت 1558م، بانتصار باهر الذي كان من أكبر أيام الجزائر الجديدة الماجدة ودخلت مستغانم منذ ذلك التاريخ إلى الدولة الجزائرية.

1 – مرمول كربخال، المرجع السابق، ص 335.

2 – أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة...،المرجع السابق، ص 353.

3 – صالح حيمر، المرجع السابق، ص 123.

4 – صالح عباد، المرجع السابق، ص 85.

المبحث الثالث:إنعكاسات الحملة على إقليمي تونس وطرابلس الغرب:

1- تحرير طرابلس الغرب 1551م:

احتلت طرابلس موقعا استراتيجيا هاما وجيدا بحيث كانت تسيطر على أهم الطرق التجارية وذلك بتردد القوافل القادمة عليها من داخل "بورنو" و "كانم" و "تشاد"، وكانت تزخر بنشاط تجاري فاستعادت ثقة تجار البحرية الإيطالية والفرنسية[1].

ولهذا دخلت سنة 1510م تحت الاحتلال الاسباني وفي سنة 1530م منحت لفرسان القديس يوحنا بطلب من البابا فاستقروا بالمدينة بعد حصولهم علن وثيقة التنازل الرسمية من الملك الاسباني فإزداد ظلمهم للأهالي وتعذيبهم[2]، فأدرك الليبيين بعدم قدرتهم على طرد الغزاة وقدروا طلب العون من الدولة العثمانية فأرسل مشايخ وعلماء مدينة تاجوراء لهذا الغرض أرسل وفد إلى اسطنبول[3]، ومما شجع أهالي تاجورا للدولة العثمانية هو الانتصارات التي أحرزها الجزائريون سنة 1541م أمام مدينة الجزائر وهذه الأخيرة هي بداية حرب طويلة وعنيفة مبدأها البحر الأبيض المتوسط، وكانت تحت إشراف الدولة العثمانية والقوى المسيحية بإشراف إسبانيا[4].

فأراد العثمانيون توسيع رقعة أرضهم ومضايقة البحرية الاسبانية والقضاء على سيطرة فرسان القديس يوحنا في طرابلس الغرب[5]، زيادة على ذلك، عندما شرع درغوث رايس بهجمات قوية على سواحل اسبانيا وصقلية وسردينيا، وذلك عندما استقر في جربة وقام بتخريب ثلاث

1 – عبد الفتاح المقلد الغنيمي، المرجع السابق، ج6، مج3، ص 85.

2 – محمد علي عامر وآخرون، المرجع السابق، ص 155.

3 – اسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 62.

4 – راسم رشدي، طرابلس الغرب في الماضي والحاضر، ط1، طرابلس، 1953م، ص87.

5 – محمد أحمد محمد دار، "دور بعض المدن الايطالية في الصراع العثماني الاسباني في الحوض الغربي للبحر الأبيضالمتوسط وأثره في المغرب العربي خلال القرن 10هـ/ القرن 16م"، مجلة كلية الأدب، جامعة الاسكندرية، الاسكندرية، 2003، ص 13.

قرى في مالطة[1]، واستولى على سفينة مالطية كانت تحمل خزينة مال فرسان القديس يوحنا التي كانت تقدر بحوالي 20 ألف دوكة ذهب[2].

كما أنه سنة 1550م استولى على المهدية التي تملك موقع حصين وأبراج دفاعية جعلت منها إحدى المواقع البحرية الاستراتيجية بمساعدة مراد آغا الذي أرسل إليه مئة من الرما ة[3]،الأمر الذي أحدث أزمة لإسبانيا جعلها تحتج لدى الباب العالي وأن الخلافة العثمانية قد نقضت الهدنة[4]، ولكن في الحقيقة أن البحارة المسيحيين قد نقضوا هذه الهدنة من خلال هجومهم على التجارة الإسلامية في شرق المتوسط واعتراضهم للحجيج المسلمين المتجهين من الشمال الإفريقي إلى البقاع المقدسة[5].

وفي نفس الوقت أمر شارلكان أندريا دوريا بإسعادة هذه المدينة، فجهز له أسطول متكون من 47 قطعة اتجه بها نحو مهدية في 27 / 06/ 1550م لمطاردة درغوث باشا ومعه جيش بقيادة ملك صقلية "دون جوان دي فيغا" " Don juan de Vega" فتمكنت القوات الاسبانية من احتلال المهدية في 10 سبتمبر 1550م ونظرا لصعوبة الاحتفاظ بالمدينة قرر شارلكان هدمها أمام سكانها البالغ عددهم 7 آلاف، فقد كان مآلهم النهب والاغتصاب والإسترقاق[6]، لذلك كان رد الخلافة العثمانية حاسما، فأعد السلطان العثماني سليمان القانوني حملة حملة بحرية من 92 باخرة وأسند قيادتها إلى سنان باشا بمساعدة درغوث باشا وصالح باي الجزائر وطلب منه أن يغزو مالطة، وفي يوم 29 جويلية وصل إليها سنان باشا وتمكن مع درغوث إنزال جزء من القوات إلى البر[7]، غير أن فرسان مالطة استبسلوا في الدفاع عن جزيرتها وحاولوا دون ضياعها، فانسحب سنان ورفاقه إلى جزيرة "قوزو" "Gozo" فاستولوا على 6 آلاف مسيحي

1 – جون –ب– وولف، المرجع السابق، ص 64.

2 – لمنور مروش، المرجع السابق، ص 113.

3 – أنطوني روسي، المرجع السابق، ص 206.

4 – وقعت هذه الهدنة بين الدولة العثمانية والامبراطورية الاسبانية عام1545م، صالح حيمر، المرجع السابق، ص 124.

5 – جون –ب– وولف، المرجع السابق، ص66 .

6 – يلمز أوزتونا، المصدر السابق، ج1، ص 310.

7 – يحي بوعزيز، علاقات الجزائر..،المرجع السابق، ص ص 48-49.

وعادوا بهم إلى تاجوراء[1]، وأدرك أنه ليس من السهل عليه احتلال طرابلس، وأن احتلالها يتطلب وقتا طويلا وخاصة بعد أن علم أن قائد الأسطول الإسباني أندريا دوريا في طريقه إلى طرابلس الغرب لمساعدة الفرسان[2] لكنه في طريقه هبت عاصفة في شهر جويلية من نفس السنة، حطمت له 8 سفن حال ذلك دون الوصول إليها فانسحب.

وفي 23 ماي استبدل الوالي العام بـــ: "فالييز" " Vallers" وهو يعرف أن أمامه معركة فاصلة، وأن الأسطول التركي قادم له لتحرير طرابلس فقام بتقوية الحصون والأبراج وأسوار المدينة[3]، واتجه مراد آغا لطرابلس فوصلها في الخامس من أوت في أسطول تركي مكون من 150 150 سفينة عليها 12 ألف جندي من الإنكشارية و5 آلاف من رجال الكومنداس وأرباب الصنائع ومئة فارس[4].

وعند وصول الأسطول إلى طرابلس للمرة الثانية ضرب حصار عليها لمدة 9 أيام وقبل أن يأمر سنان باشا ببداية الهجوم وصل إلى طرابلس السفير الفرنسي "المسيو دارمونت" "Darmount" لدى الباب العالي في ثلاثة سفن في طريقه لإسطنبول فرجاه المرشد الأكبر – المالطي- أن يتجه إلى طرابلس لكن سنان باشا رفض ذلك [5] وأجابه أن الأوامر معطاة إليه تقتضي بطردهم فحاول السفير الفرنسي التوجه إلى اسطنبول للحصول على عفو لفرسان القديس يوحنا، لكن سنان باشا منعه من مغادرة المدينة قبل الانتهاء من العمليات الحربية [6] فرفض "غاسباري فاليس" تسليم المدينة قائلا: "أفضل الموت على الاستسلام".

وفي 8 أوت اقترب المهاجمون بمدفعيتهم من القلعة تحت حماية الحواجز والخنادق و لم يكن من السهل لسنان دخول المدينة من طريق البحر، وفي اليوم نفسه بدأت تنطلق أولى طلقات

1 – مرمول كربخال، المرجع السابق، ص 512.
2 – اسماعيل أحمد ياغي، المرجع السابق، ص 162.
3 – جون –ب– وولف، المرجع السابق، ص 68.
4 – عمر محمد الباروني، المرجع السابق، ص 126.
5 – أنوري روسي، المرجع السابق، ص 209.
6 – محمد علي عامر وآخرون، المرجع السابق، ص162.

المدفعية، وفي 9 أوت استؤنف القصف بطريقة أكثر عنفا واقتربت المدافع التركية إلى مسافة 150م من القلعة وبعد الحصار قرر حاكم المجلس الذي تشاور في الأمر مع حاميته الاستسلام بمقتضى بعض الشروط، وأرسل وفد إلى سنان باشا يتكون من شخصين لعرض هذه الشروط، التي قبلها ووافق عليها سنان باشا وهي: أن تتاح حرية المحاربين من فرسان مالطة بالعودة إلى الديار المسيحية[1]. ومع رضاء سنان باشا بالسماح للفرسان بالانسحاب من طرابلس بحرية. أما الجنود الذين كانوا في الجيش أخذوا أسرى[2].

وهكذا تمكنت القوة التركية من طرابلس وطرد الفرسان منها 14 أوت 1551م وأسند الإمارة إلى مراد آغا بتعيينه والي عليها برتبة بكلر بكية، ومنذ تاريخ 16 أوت 1551م، أصبحت طرابلس الغرب إيالة عثمانية[3].

1 – أنوري روسي، المرجع السابق، ص 210.

2 – جون –ب– وولف، المرجع السابق، ص 68.

3 – محمد علي عامر وآخرون، المرجع السابق، ص 163.

2- تحرير تونس:

بعد نهاية حكم حسن باشا تولى بكلر بكية الجزائر من بعد العلج علي[1] في سنة 1568م وكان يود تحقيق وإتمام مشروع خير الدين الهادف في السيطرة على شمال إفريقيا، خاصة بعد تحريرات العثمانية في الجزائر وطرابلس[2]، وفي شهر اكتوبر 1569 م ،توجه علج علي بعدما راسله تاج الخضار وزير السلطان أحمد الحفصي سرا يعلمه بحقيقة الوضع في تونس ويحرضه على القدوم إليها واحتلالها ويعده بأن يكون بجانبه وفي إعانته[3].

تقدم العلج علي إلى تونس وكان معه 5 آلاف تركي وعلج مسلحين وفي الطريق إليها انضم إليها ثلاث مئة جندي من قسنطينة وعنابة، كما انضم حوالي 6 آلاف فارس من أتباع ملك كوكو وأمير بني عباس[4]،

وعند سماع احمد أبو العباس بأن علج علي قادم إليها ، خرج للدفاع عنها والتقى الجمعان في باجة-وادي مجردة- فمني السلطان الحفصي بهزيمة وفر إلى حلق الوادي محتميا بالأسبان ودخل علج علي تونس واستقبله أهلها وفتحوا له الأبواب ودخلها مع من معه وأخذ عليهم البيعة للسلطان سليم خان العثماني[5] ونصب عليها حامية عثمانية بقيادة القائدين "رمضان" وهو علج من سردينيا و" محمد" وهو علج من نابولي، متكونة من 3 آلاف تركي وعاد بعدها إلى الجزائر وسط أفريل سنة 1570م[6] ليعيد تنظيم أسطوله تلبية لطلب السلطان العثماني، مؤجلا بذلك أمر انتزاع

1 - ولد في إيطاليا وقع في أسر المسلمين أثناء أحد الحملات من الحملات التي نضمها خير الدين ضد جنوب إيطاليا وعند اقتسام الغنائم وضع في سهم الرايس علي أحمد، استغل في البواخر الاسلامية مجد فأمثل كل عبيد النصارى، وكان له بارز في ترجيح كفة النصر لفائدة المسلمين، كما لمع بعد ذلك في الهجوم الذي نضمه العثمانيين في حرب مالطا، مبارك الميلي، المرجع السابق، ص 103.

2 - عبد العزيز سليمان فواز، تاريخ الشعوب الإسلامية، دار الفكر العربي، (دت)، ص109.

3 - محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية... ،المرجع السابق، ص 718.

4 - صالح عباد، المرجع السابق، ص 93.

5 - ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص ص 18- 19.

6 - صالح عباد، نفسه، ص 94.

حلق الوادي من الاسبان إلى فرصة أخرى بعد معركة ليبانت سنة 1571[1] قررت اسبانيا وهي تعيش نشوة الانتصار مهاجمة تونس مستغلة بذلك انشغال العثمانيون بترميم أسطولها الذي تعرض لعاصفتين بحريتين عندما كان يحاول الذهاب لتونس لتحرير حلق الواد[2].

فشجع فليب الثاني على احتلال تونس بسبب لجوء السلطان الحفصي أبو العباس الثاني الذي طلب من المساعدة لاسترداد ملكه مقابل التنازل عن عنابة وبترت وحلق الواد، فرفض أبو العباس هذه الشروط لكن أخاه محمد ابن الحسن قبلها [3]، فتولى السلطنة الحفصية الإسمية تحت سيادة الاسبان وإدارتهم.[4]

وبمقتضى هذا الاتفاق خرج دون جوان "Don juan Dautriche"[5] النمساوي من جزيرة صقلية في أكتوبر 1573م / رجب 981هـ على رأس أسطول متكون من 138 سفينة تحمل 25 ألف مقاتل وبعدما نزل بقلعة حلق الواد، توجه إلى مدينة تونس التي لم يكن بها حامية كافية للدفاع عليها[6]، و لم يستطع رمضان باشا الصمود فانسحب إلى القيروان [7]، أما أهالي تونس تونس فخرج أغلبهم إلى جبل الرصاص والغابات بأهلهم وأولادهم، فروا بأنفسهم وأموالهم.[8]

1 – وقعت معركة ليبانت البحرية عام 1571 عند خليج اليونان بين السطول العثماني و أسطول الحلف المسيحي المكون من إسبانيا والبابوية والبندقية بقيادة الدون جوان، نفيسة الذهبي، المرجع السابق، ص88.

2 – صالح حيمر، المرجع السابق، ص 128.

3 – محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص ص 469- 470.

4 – محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية... ،المرجع السابق، ص 273.

5 – هو ابن غير شرعي لشرلكان، ولد بمدينة راتسبون سنة 1545م بعد موت أبيه حاول فليب الثاني إدخاله في إحدى الرهبات لكنه رفض، فعينه قائدا في جيشه وفي سنة 1570 فكلفه بتصفية ثورة مسلمي غرناطة، وفي سنة 1571م تولى قيادة الأسطول المسيحي في معركة ليبانت، صالح حيمر، المرجع السابق، ص128.

6 – بسام العسلي، الجزائر والحملات...،المرجع السابق، ص99.

7 – عزيز سامح التر، المرجع السابق، ص 244.

8 – ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ص 21.

فأصيب دون جوان بالغرور حيث كان يريد إنشاء مملكة خاصة به في تلك المنطقة وقد لقي تشجيع من طرف البابوية بروما[1]، فخالف بذلك أوامر الملك فليب الثاني[2]، فأعاد تحصين قلعة قلعة حلق الواد ولما علم أخوه بذلك غضب لهذه التصرفات وأصر أخاه بالعودة، فنزل بمدينة باليرمو في نوفمبر 1573م بعدما ترك حامية من 8100 جندي تحت قيادة "سيبلوني" الذي يتقاسم السلطة مع محمد الحفصي تحت تبعية إسبانيا. [3]وقد رد علج علي ردا سريعا على الصليبيين[4]، بعدما منحه السلطان سليم الثاني لقب قليج ومعناه السيف وعينه في رتبة قبطان باشا ، ، فأعاد بناء الأسطول الذي تحطم في معركة ليبانت[5].

وبعدما أصدر السلطان سليم الثاني أوامره إلى سنان باشا وقبطانه العلج علي بالاستعداد للتوجه إلى تونس لفتحها نهائيا وإعادة نفوذ الدولة العثمانية إليها كما صدرت نفس الأوامر والتوجيهات لبقية الأقاليم بتحضير الجنود والذخيرة والمؤن،[6] وأقبل حيدر باشا من القيروان ومصطفى باشا من طرابلس وإلتقيا بالمحمدية [7]، وكان عدد القوات الاتية من القيروان وجربة تتكون من ستة آلاف فارس والآتية من طرابلس تتكون من ألفي رجل (2000) وانضمت إلى هذه القوات أعداد غفيرة من الأهالي ونصبوا الخيام بالقرب من مدينة تونس[8].

ومن جهة أخرى جهز السلطان سليم الثاني أسطول يتكون من 298 سفينة تحمل 40 ألف جندي و7 آلاف إنكشاري و48 ألف من الجدافة، وسار الأسطول العثماني من اسطنبول في

1 – عزيز سامح الترك،المرجع السابق، ص 244.

2 – فلب الثاني "Philippe II" ابن شارلكان ولد سنة 1527م، خلف أباه كملك على عرش إسبانيا والأراضي المنخفضة سنة 1556م، توفي سنة 1588م، صالح حيمر،المرجع السابق ، ص 129.

3 – يالمز أوزتونا، المصدر السابق، ج1، ص ص 379– 380.

4 – عبد العزيز الشناوي، المرجع السابق، ص198.

5 – نفيسة الذهبي، المرجع السابق، ص 88.

6 – محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص 471.

7 – محمد العروسي المطوي، الحروب الصليبية...، المرجع السابق، ص 274.

8 – صالح عباد، المرجع السابق، ص 96.

1575/05/15م متوجها إلى مدينة تونس[1]،وضرب حصار اشترك فيه أمير أمراء الجزائر رمضان باشا وأمير أمراء الجزائر السابق أحمد عرب باشا[2].

وفي يوم 17 جويلية شرع في قصف حصن حلق الواد من الجهتين وفي يوم 10 أوت وصل القائد رمضان إلى تونس مع 5 آلاف تركي من الجزائر وعدد كبير من الأهالي وبعد قصف حلق الواد في 22 أوت قاموا بهجوم عنيف على الحصن، وفي يوم 23 أوت 1574 تمكنوا من الاستيلاء والسيطرة على حصن حلق الواد وطرد الحامية الاسبانية[3]، ثم نقل المسلمون بعد ذلك ثقل عملياتهم عملياتهم القتالية إلى حصار تونس ففر من بها من الاسبان ومعهم محمد بن الحسن الحفصي إلى البستيون[4].

فاستولى المجاهدون على الحاضرة وقصبتها ثم نقلوا الهجوم على هذا الحصن وأحكموا الحصار على حاميته[5] وعندما أطلع علج علي على تحصينات البستيون وكثرة النصارى والأعراب المرتدين، طلب من سنان باشا الإعانة، فأرسل له مع علي آغا ألف جندي و 14 مدفع مختلفة الأحجام، ولما وصلوا إليه وزعها على الحصن من كل الجهات والنواحي ولما بدأت المعركة جاء سنان باشا لمراقبة العملية وإصلاح هذا الشأن[6]،وفي صبيحة 13 سبتمبر يوم الاثنين 1574م، اقتحمت القلعة القلعة وسقطت في يد المسلمين بصفة نهائية وألقى القبض على الكونت غابريو سير بيلوني[7]

1 – يالمز أوزتونا، المصدر السابق، ص 380.

2 – إبن أبي الضياف ،المصدر السابق ، ص 17.

3 – صالح عباد، المرجع السابق، ص 96.

4 – قلعة بناها الاسبان إلى جانب تونس، بالغ الاسبان في تحصينها وجعلوها من أمنع الحصون في شمال إفريقيا، محمد علي الصلابي، المرجع السابق، ص100.

5 – بسام العسلي، الجزائر والحملات الصليبية..، المرجع السابق، ص100.

6 – ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص178.

7 – صالح عباد، نفسه، ص96.

واستأصل أهله بالقتل والأسر ومات من الفريقين ما يزيد على 20 ألف، أما الحسن محمد الحفصي فقد أرسل به سنان باشا أسيرا إلى أسطنبول[1].

وبسقوط البستيون سقطت الدولة الحفصية نهائيا وطرد الاسبان شر طرد ودخلت تونس مرحلة جديدة في تاريخها، وبدأ عهد العثمانيين في تونس منذ سنة 989 هـ/ 1574م[2]

1 – أحمد توفيق المدني، حرب ثلاثمائة سنة...، المرجع السابق، ص 377.

2 – حسن محمد جوهر، تونس، دار المعارف، مصر، 1971م، ص46.

الخاتمة

بعد عرض وتحليل ودراسة الموضوع بشكل دقيق توصلنا الى عدة نتائج:

يعتبر القرن 16م قرن التغيرات، بحيث مرت الدويلات المغربية في هذه الفترة بأصعب مراحلها فكانت الدولة الحفصية بالمغرب الادنى تعيش فوضى واضطراب وكان الحال نفسه تمر به الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط والدولة المرينية بالمغرب الأقصى وكان الصراع داخل الدويلات متمثل في السيطرة على كرسي العرش وتنافس الملوك على الحكم،وتوسع كل دولة على حساب الأخرى رغبة في توسيع الرقعة الجغرافية ، كل هذا أدى الى ضعف وانقسام دويلات المغرب الاسلامي.

كانت اوضاع منطقة المغرب الاسلامي المزرية سببا في الغزو الاسباني و زيادة التكالب الصليبي عليها والذي كان يقيادة الملك فرديناند وزوجته الملكة إيزابيلا،وكان القس كسمنيس احد اطرافه كذلك ، وكان السبب الديني محرك كذلك لهذا الصراع والذي احتضنته الكنيسة وهو محاربة الاسلام اينما كان وحيث ما وجد،كما ان اوضاع إسبانيا لم تسمح باستكمال الحملات الاستكشافية في العالم الجديد من دون ممول فقررت في انشاء مستودع لها في شمال افريقيا، فوجهت الكثير من الحملات على سواحل الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط فكان بدايتها سنة 1505م باحتلالها المرسى الكبير ثم وهران في 1509م اما بجاية وطرابلس سيطروا عليها في 1510م.

وفي هذا الوقت ظهر الاخوة بربروس في جربة سنة 1510م فإسقروا بها وجعلوها مركز لهم وسطع نجمهم بين الاهالي فإستنجد بهم اعيان بجاية ومساعدتهم على دحر العدوا، فلبى الاخوة الطلب لكنهم فشلوا في فتحها وتراجع عروج الى جيجل سنة 1513م وفتحها التى كانت يومئذ في يد الجنوين، لكنه عاد الى بجاية محاولا فتحها مرتين سنة 1514م و 1515م لكن المحاولة باءت بالفشل بسبب التحصينات القوية بالمنطقة.

ادى موت الملك فرديناند الى نهوض اهل الجزائر والاستنجاد بعروج في 1516م لتخليصهم من الاسبان المتواجدين بها وبالقلعة البنيون،فحررها في نفس السنة لكنه لم يستطع فتح القلعة فاجلها الى وقت اخر، ثم توجه الى الجهة الغربية ففتح تنس سنة 1517م، وقتل أميرها

المتحالف مع الاسبان. ثم توجه الى تلمسان سنة 1518م ملبيا نداء اهلها الذين استنجدوا به لكن عروج قتل في المعركة التي خاضها فيها

ان لجوء الجزائرين الى الدولة العثمانية كان خيارا إستراتيجيا بكل الابعاد نتج عنه قيام الدولة الجزائرية سنة 1519م، وانضمامها للحاضنة العثمانية، وبهذا التحالف أصبح الصراع الاسباني يتخذ شكلا رسميا وذلك بإرسال حملة ديغو دي منكادا الموجه الى مدينة الجزائر لكن العمارة حطمت بسبب العامل الجوي و لم يستطع التوغل في المدينة بسبب التحصينات.

ان تحرير خير الدين لقلعة البنيون سنة 1529م بداية ظهور البحرية الجزائرية كقوة إسلامية مناهظة لاسبانيا في الحوض الغربي،وهذا ما جعل الامبراطور شارلكان يعد حملة بقيادة أندري دوريا على شرشال سنة 1531م لكنها فشلت

يعد ضعف الدولة الحفصية وتمرد سلطانها دافع لدخول خير الدين منطقة تونس في سنة 1534م ولكن سلطانها التجئ للأسبان وأرجعوه الى مركزه بعدم عقد معهم معاهدة تضمن لهم حكم تونس سنة 1535م وبذلك زاد الصراع في المنطقة بين القوتين العظمتين.

عندما احتل شارلكان تونس، قرر توجيه حملة ضخمة ضد مدينة الجزائر سنة 1541م تحالف صليبي،وكانت وراءه عدة اسباب لكنه انكسر امام اصرار وعزيمة الجزائريين،لكن المؤرخين الغربيين ارجعوها الى العامل الجوي.

كان انكسار شار لكان امام مدينة الجزائر وانتصار العثمانيين عليه منعرج حاسم في تاريخ الصراع العثماني الاسباني و له تأثير كبير على الاقاليم الاخر فقد ركز دعائم الدولة الجزائرية وجعل لها قوة بحرية كبيرة استطاعت توسيع رقعتها وتصفية الوجود الاسباني بها المتمثل في تحرير تلمسان سنة 1554م وبجاية 1555م ومستغانم 1558م ،الذي بقيت له إلا مدينة وهران وه ذاعلى الصعيد الداخلي اما على الصعيد الخارجي وهو تحرير مدينة طرابلس سنة 1551م وطرد فرسان القديس يوحنا منها بعد ان سلمت لهم من قبل الاسبان سنة 1530م وكما جعلها تدحر الاسبان نهائيا من تونس سنة 1574م بقيادة العلج علي ومراد أغا،وضم طرابلس وتونس الى الدولة العثمانية.

الملاحق

الرسالة التي أرسلها أهالي الجزائر إلى السلطان سليم الأول سنة 1519 يعرضون فيها رغبتهم في ضم الجزائر إلى الدولة العثمانية.
(أرشيف قصر طوب كابي سراي، إستانبول. رقم: 6456)

الملحق رقم 1

مجهول المؤلف، مذكرات خيرالدين...،المصدر السابق ، ص3.

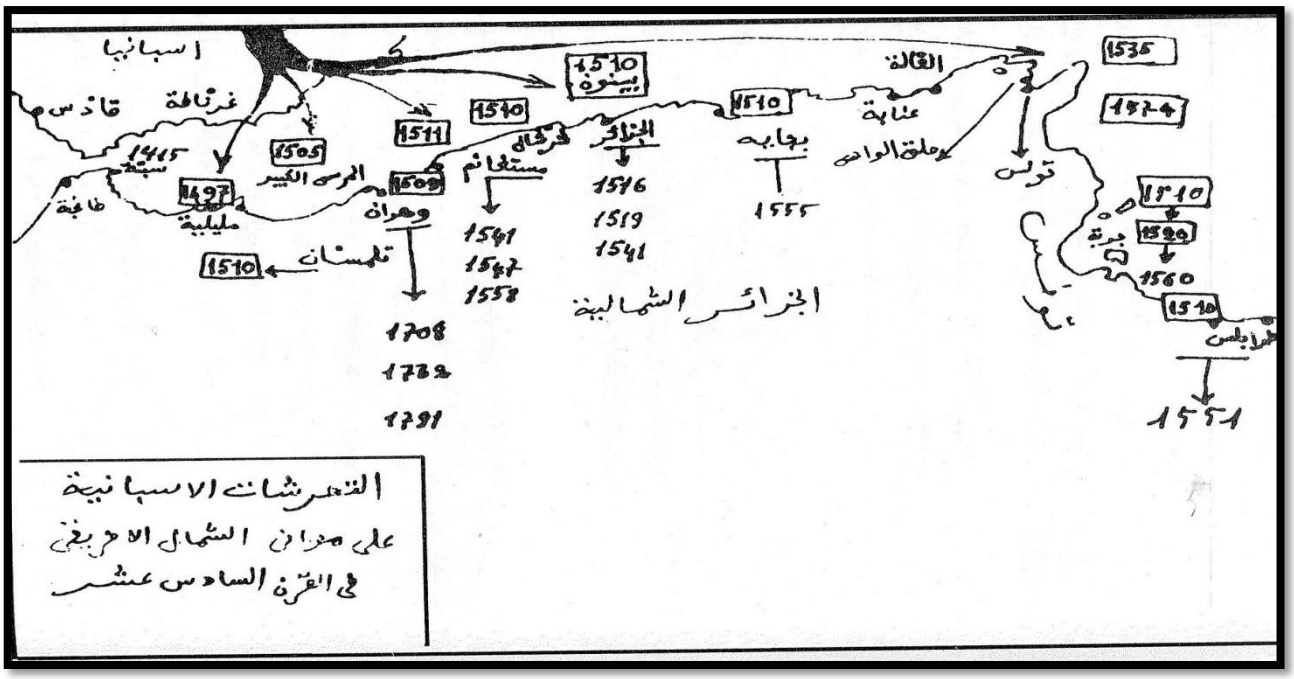

الملحق رقم 2

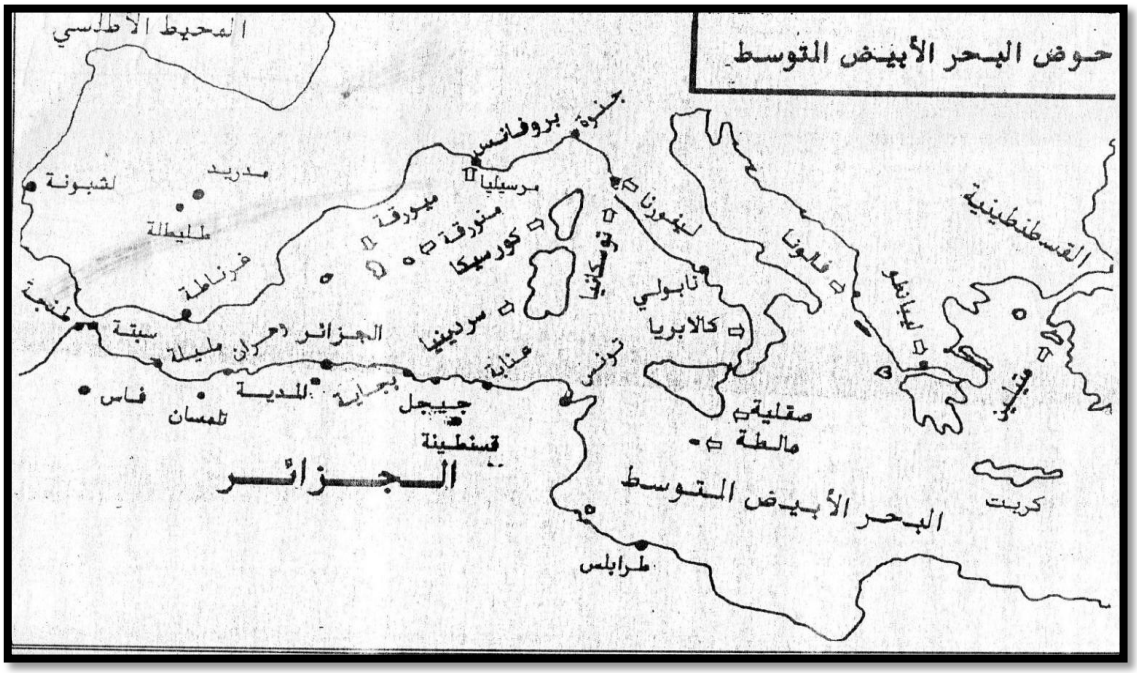

الملحق رقم 3

يحي بوعزيز، علاقات الجزائر...،المرجع السابق، ص ص 29 –31 .

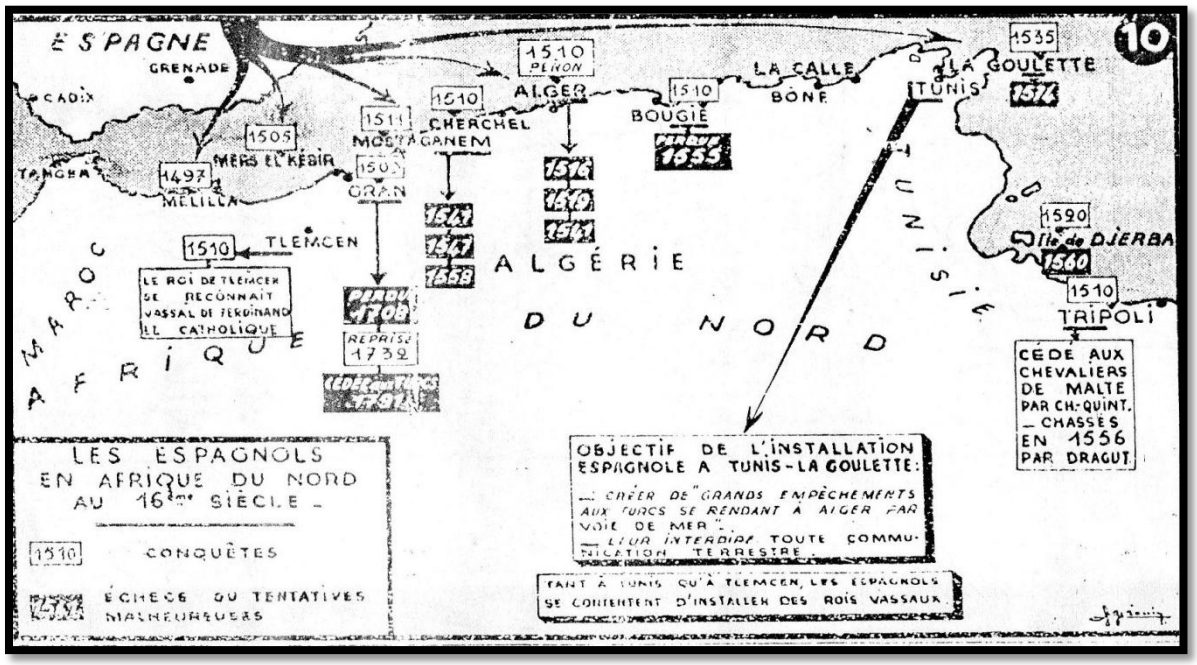

الملحق رقم 4 – يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ...، المرجع السابق، ص 29.

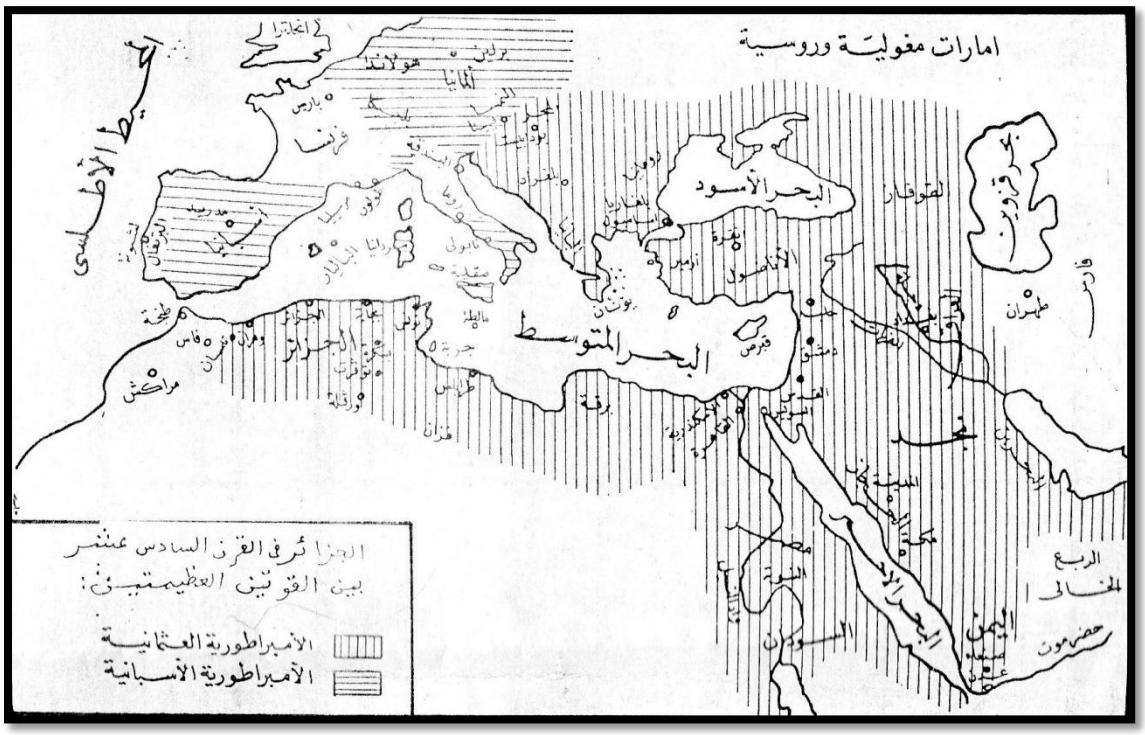

الملحق رقم 5

يحي بوعزيز، الموجز في تاريخ...، المرجع السابق ، ص 32 .

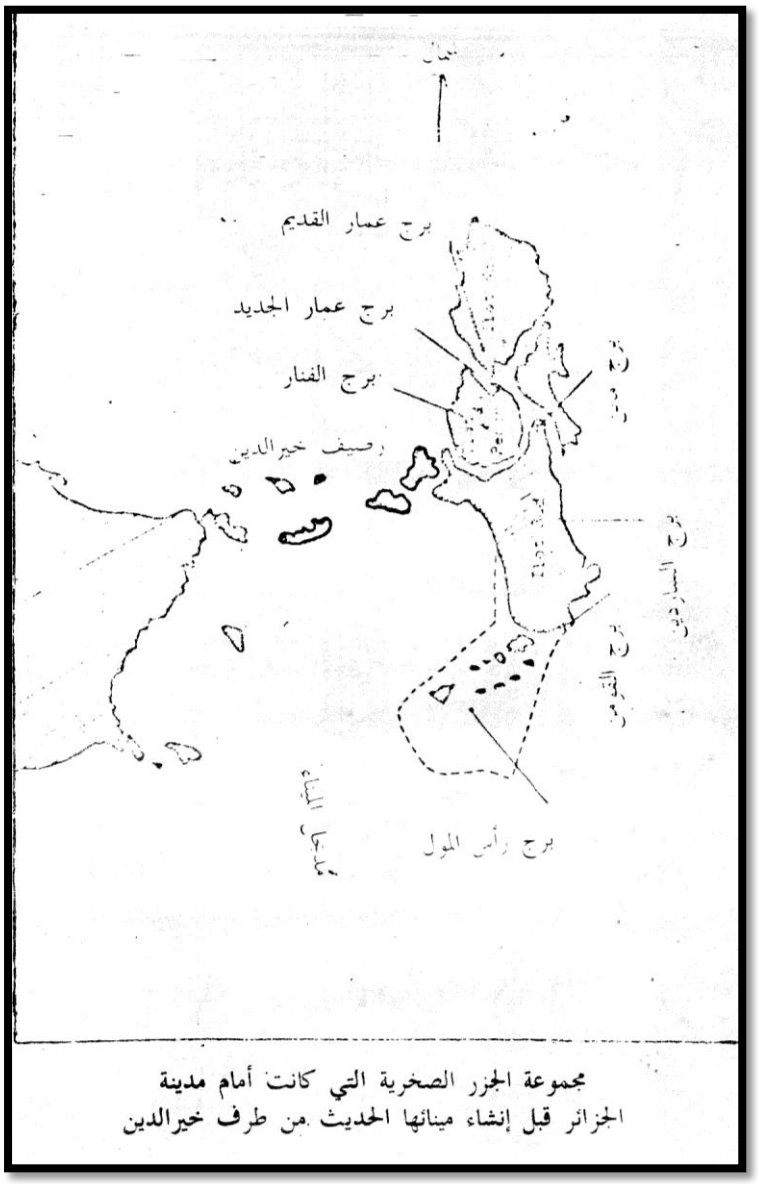

مجموعة الجزر الصخرية التي كانت أمام مدينة
الجزائر قبل إنشاء مينائها الحديث من طرف خيرالدين

الملحق رقم 6.

يحي بوعزيز،الموجز في تاريخ...، المرجع السابق، ص30.

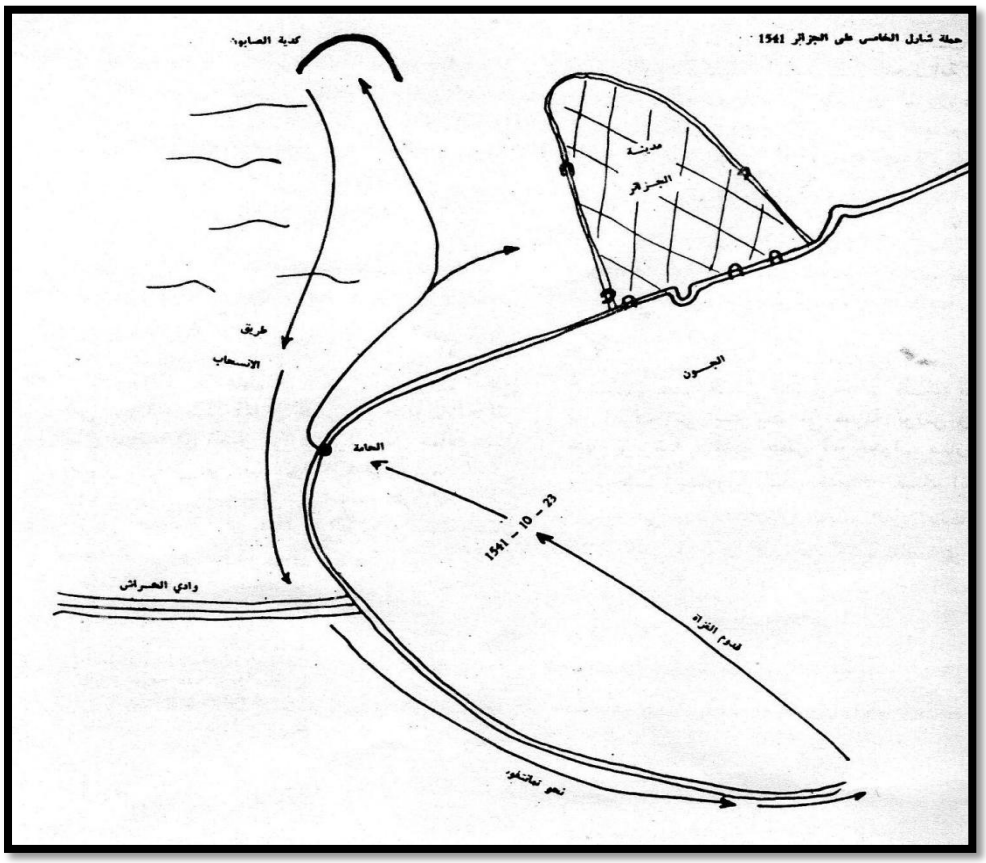

ملحق رقم 7

حملة شارلكان على الجزائر 1541م

مولاي بلحميسي، غارة شارلكان...،المرجع السابق، ص92.

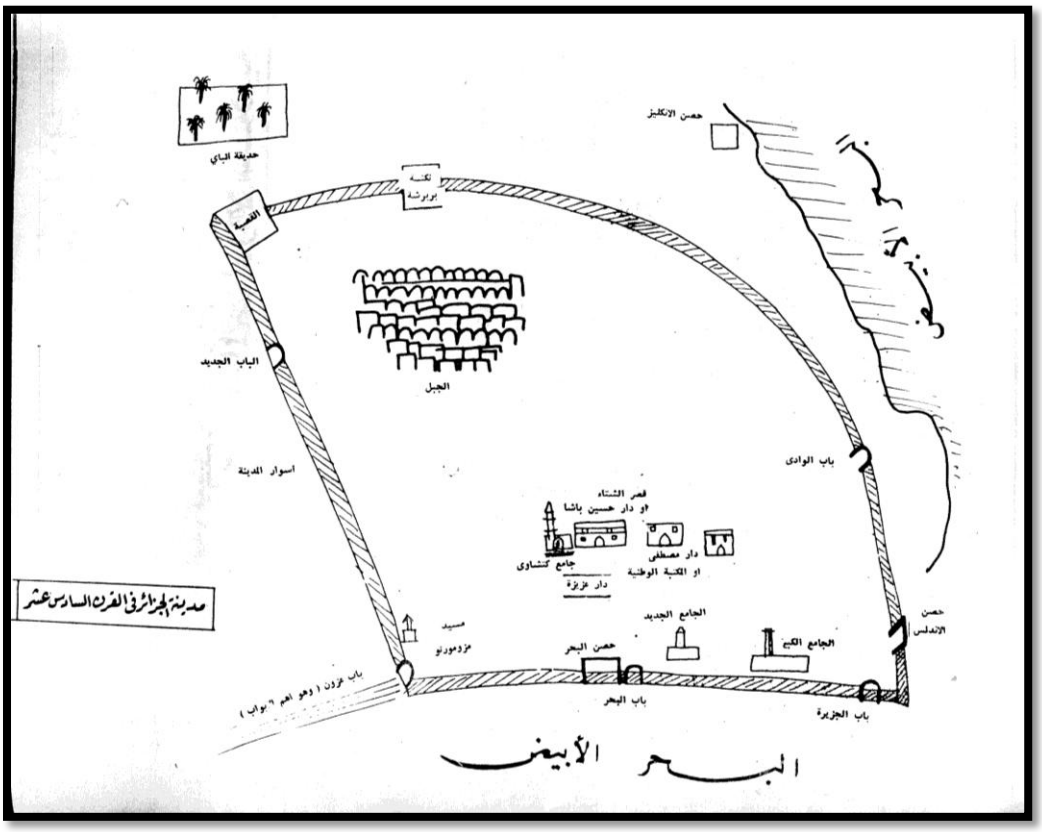

الملحق رقم 8

مدينة الجزائر في القرن 16م

مولاي بلحميسي، غارة شارلكان...،المرجع السابق، ص95.

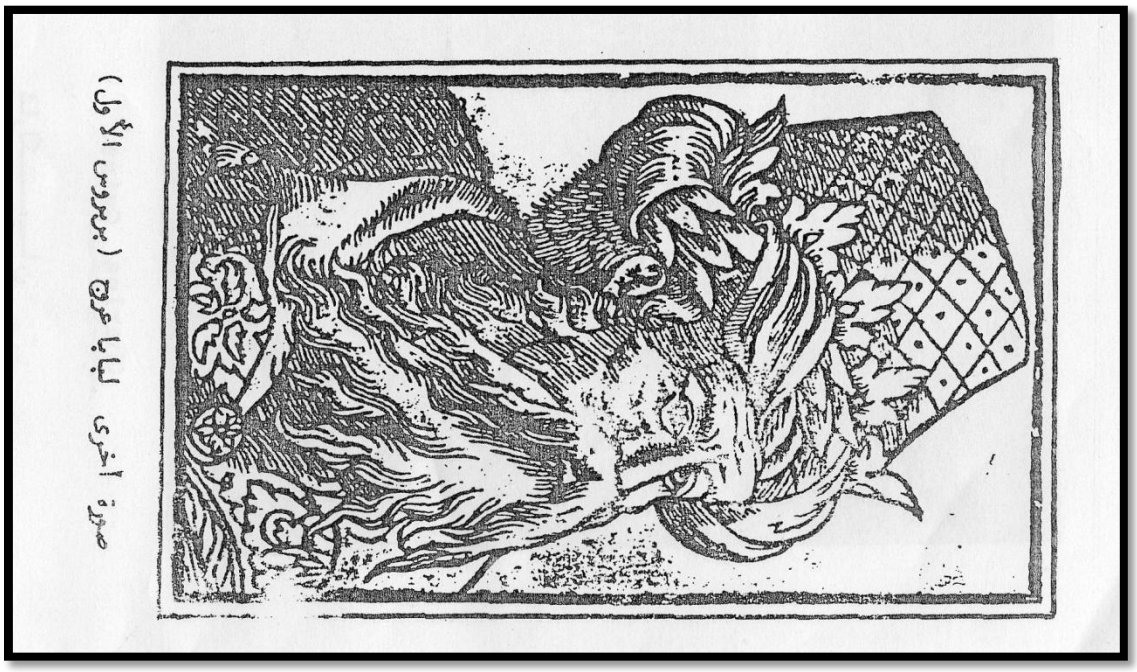

الملحق رقم 9

الملحق رقم 10

مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق، ص ص 132–134

الملحق رقم 11 الملكة إيزابيلا

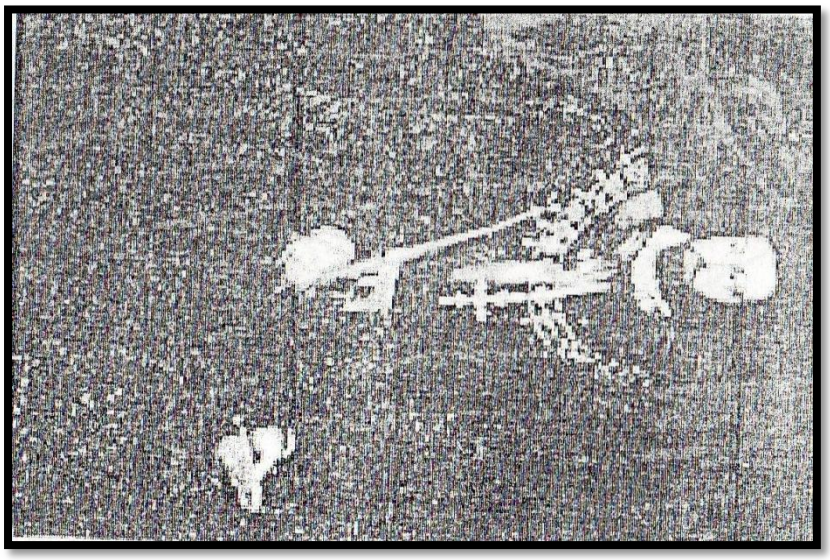

الملحق رقم 12

– الملك فرديناند الكاثوليكي –

مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق ، ص ص 52 53.

الملحق رقم 13 –بيدروا نفاروا–

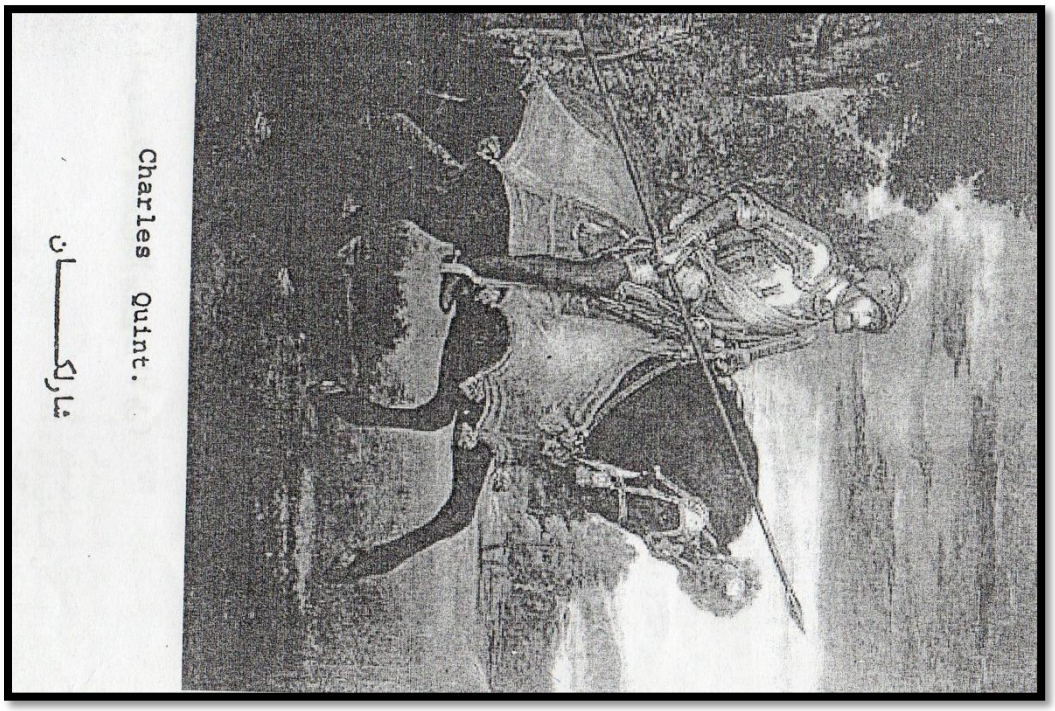

الملحق رقم 14 – شارلكان –

مولود قاسم نايت بلقاسم، المرجع السابق ، ص ص 129 137.

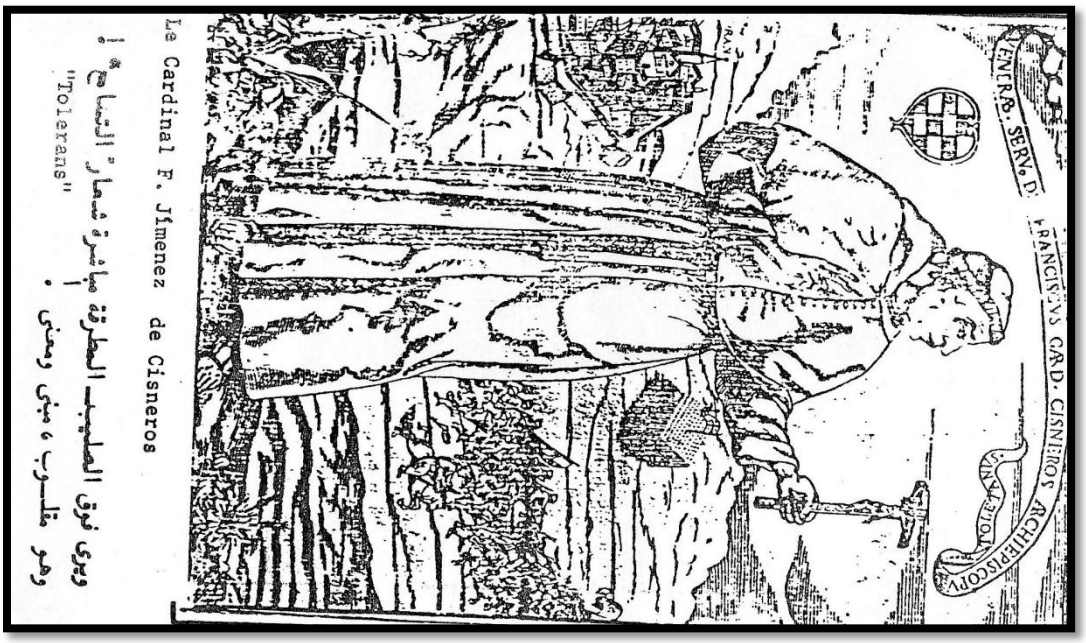

الملحق رقم 15.

الملحق رقم 16 -علج علي-

مولود قاسم نايت بلقاسم ، المرجع السابق، ص ص

71 133.

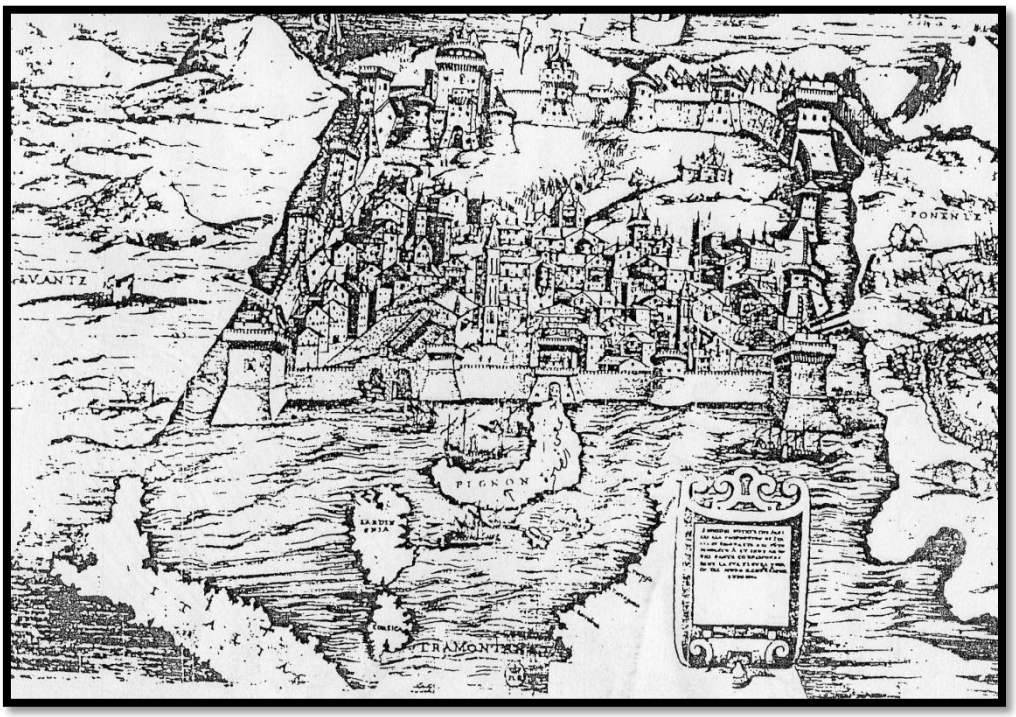

الملحق رقم 17

حصن البنيون عام 1513م

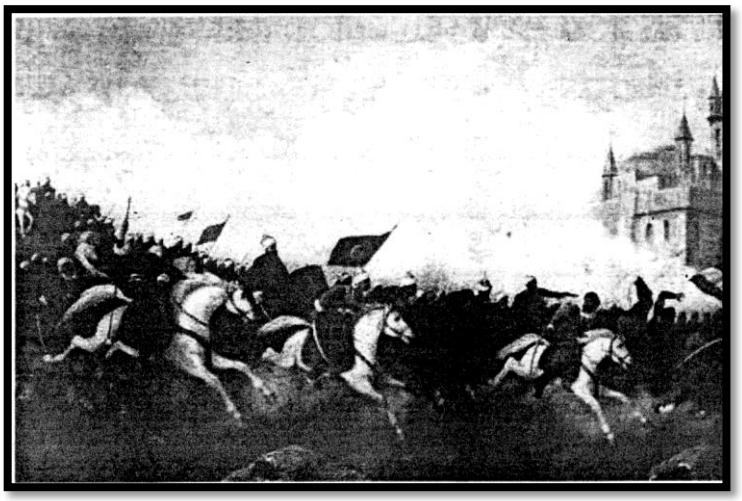

الملحق رقم18.

نموذج من المعارك البرية للإخوة بربروس في بلاد المغرب.

مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين بربروس...،المصدر السابق ،ص7.

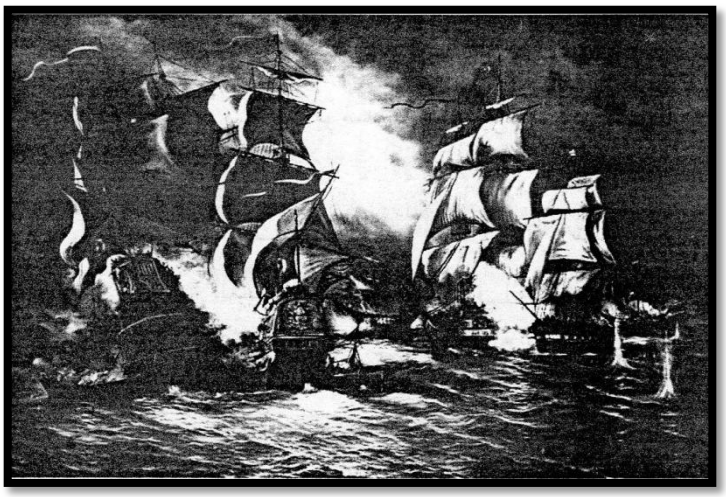

الملحق رقم 19

أحد معارك الاخوة بربروس أمام الاسطول الاسباني

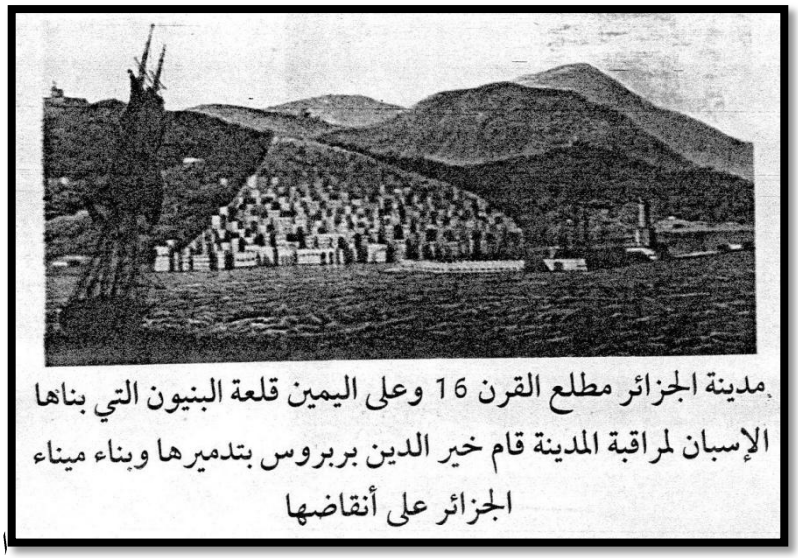

مدينة الجزائر مطلع القرن 16 وعلى اليمين قلعة البنيون التي بناها الإسبان لمراقبة المدينة قام خير الدين بربروس بتدميرها وبناء ميناء الجزائر على أنقاضها

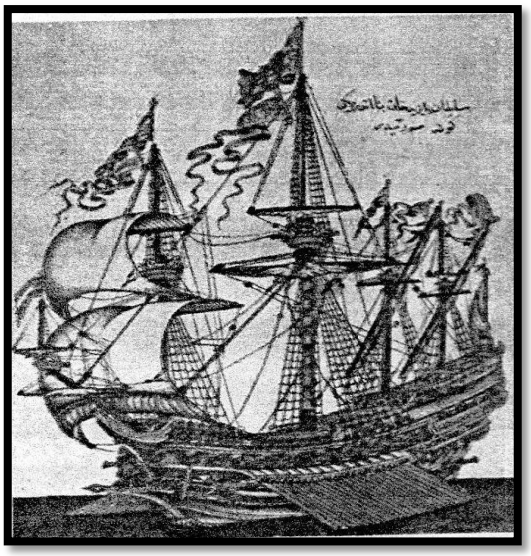

الملحق رقم 20

الملحق رقم 21:سفينة قادرغة أسبانية اهديت الى السلطان سليمان القانوني

مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين بربروس...،المصدر السابق ،ص7.

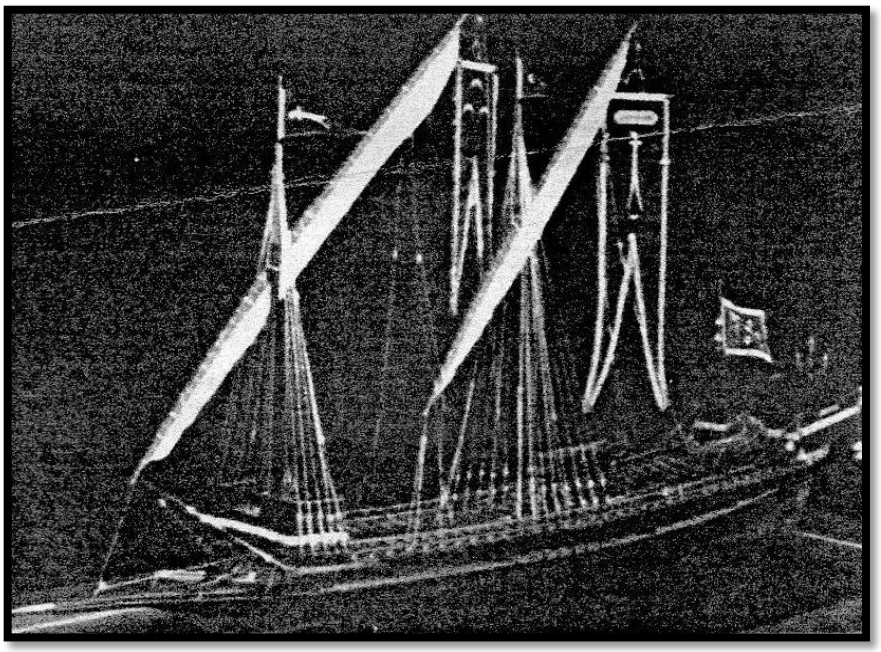

الملحق رقم: 22.

سفينة حربية قليون

المجهول المؤلف، مذكرات خير الدين...،ص7.

الملحق رقم 23

محمد السيد دغيم ،المرجع السابق ،ص2.

بيبليوغرافية البحث

المصادر:

1-أوزتونا يلماز ، تاريخ الدولة العثمانية ، ترجمة عدنان محمود سلمان، ط1، منشورات مؤسسة فيصل للتمويل، تركيا، ج1، .1988

2- إبن خلدون عبد الرحمان،تاريخ إبن خلدون" العبر وديوان المبتداء والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر"،(ب.ط)، مر: سهيل زكار، دار الفكر، لبنان، ج7، 2000.

3-إبن أبي دينار، المؤنس في تاريخ إفريقيا وتونس، ط1، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، تونس، 1276ه.

4- الشماع أبو عبد الله، الأدلة البينية في نفاخر الدولة الحفصية،(ب.ط) ، تح: الطاهر بن محمد العموري، الدار العربية للكتاب،.1984

5- إبن أبي الضياف أحمد ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ط3،الدار التونسية للنشر، تونس،ج2، 1988م.

6- فريد محمد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية ،ط1،تح: إحسان حقي، ، دار النفائس ، بيروت، 1981م.

7- حمدان بن عثمان خوجة ،المرأة، تق و تع و تح :محمد العربي الزبيري ، (ب.ط) ،منشورات وزارة الثقافة ،الجزائر ،2007م.

8- مجهول المؤلف، سيرة المجاهد خيرالدين بربروس،(ب.ط) ، تح و تع وتق: عبد الله الحمادي ،دار القصبة لنشر والتوزيع،2009م.

9- مجهول المؤلف ، غزوات عروج وخير الدين، (ب.ط)، تص: نور الدين عبد القادر، المطبعة الثعالبية، الجزائر، .1934

10- مجهول المؤلف، مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد الدراج ،ط1، شركة الأصالة لنشر، الجزائر ،.2010

11- المزاري الأغا بن عودة ،طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن 19،ط1 ،تح و تع: يحي بوعزيز ، دار البصائر ،الجزائر ،ج1 ،2007 .

12– المقري أحمد بن محمد التلمساني ،نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، (ب.ط)، تح: إحسان عباس ،دار البصائر ،بيروت ،ج2 ،1988م.

13– الناصري أحمد أبو العباس ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى " الدولة المرينية "،(ب.ط) ،تح و تع: جعفر الناصري و محمد الناصري، دار الكتاب، المغرب، ج4، (ب.ت).

14– الوزان الحسن بن محمد المعروف باليون الإفريقي، وصف إفريقيا،ط2، تر: محمد حجي و محمد الأخضر، دار الغرب الاسلامي، بيروت، ج1،ج2، 1983م.

المراجع باللغة العربية:

1– أبكاريوس يوحنا أفندي، قطف الزهور في تاريخ الزهور، ط2، (ب.م)، بيروت ، 1885.

2– ايرقنغ واشنطن ،أخبار سقوط غرناطة ،ط1 ،تر: هلالي يحي نصري ،مؤسسة الانتشار العربي ،لبنان ،2000م .

3– الباروني عمر محمد، الإسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس،(ب.ط) ،مطبعة ماجي ،طرابلس ،1952م .

4– بروشفيك روبار، تاريخ إفريقية في العهد الحفصي "من القرن 13م إلى نهاية القرن 15م"،ط1 ،تر:حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 1988م .

5– بن علي شغيب المهدي،أم الحواضر في الماضي والحاضر" تاريخ مدينة قسنطينة" ،(ب.ط) ،مطبعة البعث ،قسنطينة ،1980م .

6– بن نادر الطيب، الجزائر حضارة وتاريخ"الحضارات المتعاقبة للجزائر وتاريخها"،(ب.ط)، دار الهدى ،الجزائر ،2008م .

7– بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962م، ط1 ،دار الغرب الاسلامي، بيروت ،1997م.

8بوعزيز يحي ، علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا "1500–1830م"، (ب.ط)،عالم المعرفة لنشر والتوزيع ،الجزائر ،2009م.

9– ـــــــ ،الموجز في تاريخ الجزائر ،(ب.ط)،دار الهدى ، الجزائر ،2009م .

10– ـــــــ،موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر، دار الهدى ، الجزائر ،2010م .

11- ـــــــ ،مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية ،(ب.ط) ،عالم المعرفة لنشر والتوزيع ،الجزائر ،2009م .
12- بيضون جمال، تاريخ العرب الحديث، ط1 ،دار المنتخب العربي ،لبنان ،1997م .
13- الجزائري الأمير عبد القادر ، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر ،(ب.ط) ،المطبعة التجارية عزوزي وجاويش ، الإسكندرية ،ج1 ،1903م .
14- الجمل شوقي عطاء الله وآخرون ،تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ،ط2 ،دار الزهراء لنشر والتوزيع ،الرياض ،2008م .
15- جوليان شارل أندري ،تاريخ إفريقيا الشمالية ،ط2 ،تر: محمد مزالي و البشير بن سلامة،الدار التونسية ،تونس ، ج2 ،1988م .
16- جوهر حسن محمد ،تونس ،(ب.ط) ،دار المعارف لنشر ،مصر ،1971م .
17- الجوهري يسري ،شمال إفريقيا ،ط6 ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،الإسكندرية ،1980م .
18- الجيلالي عبد الرحمان ،تاريخ الجزائر العام ،(ب.ط) ،شركة دار الأمة ،الجزائر ،ج3 ،2009م .
19- التر عزيز سامح ، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ،ط1 ،تر: محمود علي عامر ،دار النهضة العربية ،بيروت ،1989م .
20- الحسن عيسى ،الدولة العثمانية "عوامل البناء وأسباب الانهيار" ،ط1 ،المطبعة الأهلية لنشر والتوزيع ،الأردن ،(ب.ت) .
21- رشدي راسم ،طرابلس الغرب في الماضي والحاضر ، ط1 ،دار النيل لطباعة ،القاهرة ،1953م .
22- روسي أتوري ،ليبيا من الفتح العربي حتى سنة 1911م ،(ب.ط) ،تر:خليفة محمد التليسي ،الدار العربية للكتاب ،1991م .
23- الزبيري محمد العربي ،مدخل إلى تاريخ المغرب العربي الحديث ،(ب.ط) ،مؤسسة الجزائر لطباعة ،1975م .
24- زينب نجيب ،الموسوعة العامة لتاريخ المغرب و الأندلس ،ط1 ،تق:احمد بن سودة ،دار الأمير لثقافة والعلوم ،بيروت ،ج2 ،1995م .

25- سعيدوني نصر الدين ،ورقات جزائرية"دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني" ،ط2 ،دار البصائر ،الجزائر ،2000م .

26- سنبسر وليم ،الجزائر في عهد رياس البحر ،تع:عبد القادر زبادية ،الشركة الوطنية لنشر ،الجزائر ،1980م .

27- شريط عبد الله و الميلي محمد مبارك ،الجزائر في مرآة التاريخ ،ط2،دار الهدى لنشر ،الجزائر ،1965م .

28- الشريف محمد الهادي ،تاريخ تونس"من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال" ،ط3 ،تر:محمد الشاوش و محمد عجيتنة ،دار ستراس لنشر ،تونس ،1993م .

29- شوتيم أرزقي ،نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل الانهيار"1800-1830م" ،ط1 ،دار الكتاب العربي لنشر ،الجزائر ،2011م .

30- كورين شوفالييه، الثلاثون سنة الأولى لقيام دولة مدينة الجزائر(1510- 1541)، تر: جمال حمادنة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، .1991

31- الشناوي عبد العزيز وهويداعطية ،الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، دار النفائس، ج2 ،2007م.

32- الصلابي محمد علي ،صفحات من تاريخ الاسلامي في الشمال الإفريقي"الدولة العثمانية عوامل النهوض وأسباب السقوط".SAT:www.Libya-web.net

33- عامر محمد علي و فارس محمد خير ،تاريخ المغرب العربي الحديث"المغرب الأقصى-ليبيا"،(ب.ط)،الجمعية التعاونية لطباعة ،دمشق ، (ب.ت).

34- عباد صالح ،الجزائر خلال الحكم التركي"1514-1830م"،ط1 ،دار هومة ،الجزائر ،2007.

35- العسلي باسم ،الجزائر والحملات الصليبية"1547-1791م"،ط3 ،دار النفائس ،بيروت ،1986م.

36- ـــــــــــــ ،خير الدين بربروس والجهاد في البحر"1470-1547م"، ط1 ،دار النفائس ،بيروت ،1870م

37- ـــــــــــــ،القانوني القائد ،ط1 ،دار النفائس ،بيروت ،1986م .

38– عمورة عمار ،الجزائر بوابة التاريخ" الجزائر عامة من ما قبل التاريخ الى غاية 1692" ،(ب.ط)،دار المعرفة ،الجزائر ،ج1 ،2009م .

39– عنان محمد عبد الله،دولة الإسلام بالأندلس "نهاية الأندلس وتاريخ العرب المنصريين" ،ط4 ،مكتبة الخانجي ،مصر ،ج4 ،1997م .

40– الغلاب عبد الكريم ،قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي"عصر الإمبراطورية العهد التركي في تونس وليبيا"،ط1 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،ج2 ،(ب.ت) .

41– الغنيمي عبد الفتاح المقلد ،موسوعة تاريخ المغرب العربي ،ط1 ،مكتبة مدبولي ،القاهرة ،ج5 ،1994م .

42– طقوس محمد سهيل ،تاريخ العثمانيين"من قيام الدولة إلى الإنقلاب على الخلافة" ،ط2 ،دار النفائس ،بيروت ،2008م .

43– الطمار محمد ،تلمسان عبر العصور""،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2008م.

44– صالح فركوس ،تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال"المراحل الكبرى"،(ب.ط) ،دار العلوم ،الجزائر ،2005م.

45– محمد خير فلاحة ،الخلافة العثمانية من المهد إلى اللحد ،(ب.ط) ،تونس ،1991م .Sat:www.smart10.com.

46– الفواز عبد العزيز ،تاريخ الشعوب الإسلامية ،(ب.ط) ،دار الفكر العربي،القاهرة ،(ب.ت) .

47– فيشر هربرت ،في أصول التاريخ الأوربي الحديث"من النهضة الأوربية إلى الثورة الفرنسية" ،ط3 ،تر:زينب عصمت راشد و احمد عبد الرحيم مصطفى ،مر:احمد عزت عبد الكريم ،دار المعارف ،مصر ،2001م .

48– قنان جمال ،نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث"1500–1830م"،(ب.ط) ،المؤسسة الوطنية للطباعة ،الجزائر ،1987م .

49– كربخال مرمول ،إفريقيا ،تر:محمد حجي و آخرون ،(ب.ط) ،مطبعة المعارف الجديدة ،المغرب ،ج2 ،1989م .

50– الكعاك عثمان ،الموجز في تاريخ الجزائر العام"من العصر الحجري الى الاحتلال الفرنسي" ،(ب.ط) ،تق:أبو القاسم سعد الله و آخرون ،دار الغرب الاسلامي ،لبنان ،2003م.

51 مؤسسة كوربيس العالمية ،قصة وتاريخ الحضارات العربية"تونس–الجزائر" ،(ب.ط) ،نشر مؤسسة كوربيس ،بيروت ،1999م .

52– كولان -ج- س ،الأندلس ،ط1 ،تر:إبراهيم خوراشيد وآخرون، دار الكتاب اللبناني ،لبنان ،1980م .

53––مانتران روبير، تاريخ الدولة العثمانية ،ط1، تر:بشير سباعي، دار الفكر ، القاهرة ، 1993م.

54– متولي احمد فؤاد وآخرون ،تاريخ الدولة العثمانية "منذ نشأتها حتى نهاية العصر الذهبي"،(ب.ط)،أيزبك لطباعة والنشر ،مصر ،2005م .

55- محمود محمد الحويري، تاريخ الدولة العثمانية في العصور الوسطى، ط1 ، المكتب المصري لنشر ، 2002.

56– المدني احمد توفيق ،حرب ثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا"1492–1792م"،ط3 ،دار البصائر لنشر،الجزائر ،2009م .

57–ـــــــــــــــــ ،هذه هي الجزائر ،(ب.ط)،مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،2001م .

58–ـــــــــــــــــ ،مذكرات محمد عثمان باشا،(ب.ط)،(ب.ن)،(ب.م)،(ب.ط).

59– مروش لمنور ،دراسات في تاريخ الجزائر في العهد العثماني "القرصنة –الأساطيل - الواقع" ،(ب.ط) ،دار القصبة لنشر والتوزيع ،ج2 ،الجزائر ،2009م .

60-احمد عبد الرحيم مصطفى ، في اصول التاريخ العثماني،ط2، دار الشروق ،القاهرة ،1993م

61– المطوي محمد العروسي ،السلطنة الحفصية "تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي" ،دارالغرب الاسلامي ،لبنان ،1986م .

62– ـــــــــــــــــ ،الحروب الصليبية في المشرق والمغرب،ط2 ،دار الغرب الاسلامي ،بيروت ،1982م .

63– المؤنس حسين ،معالم تاريخ المغرب والأندلس ،(ب.ط) ،مكتبة الأسرة للأعمال الفكرية ،القاهرة ،2004م .

64– موسى عز الدين احمد ،دراسات في تاريخ المغرب الاسلامي ،ط1 ،دار الشروق ،بيروت ،1980م .

65– الميلي مبارك بن محمد الهلالي ،تاريخ الجزائر في القديم والحديث ،(ب.ط) ،مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر ،ج3 ،.1964

66– نايت بلقاسم مولود قاسم ،شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830م ،ط2 ،دار الأمة لطباعة والنشر، الجزائر ،2007م .

67– نوشي أندري وبريان أندري و لاكوست إيف ،الجزائر بين الماضي والحاضر ،تر:اسطنبولي رابح وعاشور مصطفى ،(ب.ط) ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،1985م .

68– وولف جون– ب – ،الجزائر وأوربا "1500-1830م" ،تع :سعد الله أبو القاسم ،(ب.ط) ،عام المعرفة لنشر والتوزيع ،الجزائر ،1986م.

69– ياغي احمد إسماعيل ،العالم العربي في التاريخ الحديث ،ط1 ،مكتبة العبيكات ،السعودية ،1997م .

70–يحي جلال ، تاريخ إفريقيا الحديث والمعاصر ،(ب.ط) ،المكتب الجامعي الحديث ،الإسكندرية ،1999م.

71– ،تاريخ المغرب الكبير ،دار النهضة العربية،(ب.ط) ،بيروت ،ج3 ،1981م .

2– باللغة الفرنسية :

1- Belhamissi Moulay , Histoire De La Marine Algérienne (1516-1830),E.N.A.L.,Alger , 1983.

2 Chehrititl Kamal, Janissaires origines Histoire , Ed: l.a.g , Alger, 2005.

3- De Grammont Henri ,Histoire D'Alger sous la domination turque(1515-1830),Ernest Leroux Editeur ,Paris ,1887.

4 Haédo Diégo ,Histoire De Rois D'Alger ,T :Henri Grammont ,P :Abde Rahman Rebhi, Alger Livres Editions ,Alger, 1881.

5 Kaddach Mahfoud ,L'Algérien Des Algériens de la préhistoire à1945,Edition méditerrané ,Paris,2003.

6 Mesnard Pierre,Charles-Quint et les barbaresques, In: bulletin Hispanique, Tome:61,N:2-3,1959,SAT: htt://www.pers-fr/web/revues/home/prexript…

المـــــــــــقـــــالات :

1- بلحميسي مولاي،"غارة شارلكان الخامس على مدينة الجزائر 1541م/948مبين المصادر الإسلامية والمصادر الغربية"،الأصالة، مطبعة البعث، قسنطينة، العدد8 ماي، جوان 1972.

2- ـــــــــــ ، "نهاية دولة بني زيان"، طبعة خاصة،الأصالة،، العدد ،26 ،جويلية، أوت 1975،قسنطينة.

3– بوعزيز يحي ، المراحل والأدوار التاريخية "دولة بني عبد الواد الزيانية 1236-1554م" ، الأصالة، ع: 26، رجب شعبان 1995م، الجزائر.

4– دار محمد أحمد محمد ،"دور بعض المدن الايطالية في الصراع العثماني الاسباني في الحوض الغربي للبحر لأبيض المتوسط وأثره في المغرب العربي خلال القرن 10هـــ/ القرن 16م"، مجلة كلية الأدب، جامعة الإسكندرية.

5– دغيم محمد السيد ،"دراسة تاريخية موثقة عن نكبة المسلمين في الأندلس قرن من المواجهات "،الحياة ،العدد:13598 .

6– الذهبي نفيسة ، "الدولة العثمانية في مجالها المتوسطي خلال القرن 16م بين إستراتيجية الجهاد وصراع الهيمنة"، كتاب العثمانيون والعالم المتوسطي تع:عبد الرحمان الودان وعبد الرحيم نجادة ، ط1، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية ، الرباط، 2003.

7– الصباغ ليلى ،"ثورة غرناطة عام 976م/أواخر عام 1568م والدولة العثمانية "،الأصالة ،مطبعة البعث ،قسنطينة ،العدد:27 ،1975م .

8- الغاشي مصطفى عبد الله ، "البحر الأبيض المتوسط في الإستراتيجية العثمانية القرن 16 " ،كتاب العثمانيون والعالم المتوسطي تع: عبد الرحمان الودان و عبد الرحيم نجادة، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية،الرباط ، 2003.

9المدني أحمد توفيق "تلمسان بين الزيانيين والعثمانيين"، طبعة خاصة،الأصالة،، العدد ،26 ،جويلية، أوت 1975، قسنطينة.

الرسائل الجامعية :

1– سمير عبد الرسول عبد الله العبيدي، ملخص رسالة طرابلس الغرب أثناء الإحتلال الإسباني وفرسان القديس يوحنا (1510-1551)، كلية الأدب جامعة بغداد، إشراف إبراهيم خلف عبد

المجيد العبيدي، بغداد، رجب 1424هـــ/2003م، الموقع الإلكتروني:

.httb://alsafeerint.blogpot.com

2- صالح حيمر، التحالف الأوربي ضد الجزائر عام 1451 وتأثيراته الإقليمية والدولية، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة باتنة، 2006م .

3- كليل صالح، خير الدين مواجهة المشروع الإسباني لإحتلال المغرب الأوسط، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، أشراف علي أجقو، كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة باتنة، 2007/2006م .

4-عيدودي فتيحة و آخرون، حملة شارلكان على الجزائر 1541 م وتأثيراتها الإقليمية والدولية، مذكرة لنيل شهادة ليسانس في التاريخ، المركز الجامعي الشيخ العربي التبسي،تبسة ، 2008/2007م.

المعاجم والموسوعات :

1- سهيل صابان ،المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ،مر:عبد الرزاق بركات ،مكتبة الملك فهد الوطنية ،الرياض ،2000م .

2- وزارة الإعلام والثقافة ، بجاية ،سلسلة الفن والثقافة ،الشركة الوطنية لنشر والتوزيع ،الجزائر ،ديسمبر 1975م.

الفهرس

الصفحة	الموضـــــوع
أ-ج	**المـــــقدمـــــة**.....
	الفصل الأول:حالة دول المغرب الإسلامي وظهور العثمانيين على السواحل المغربية
8	**المبحث الاول: أوضاع المغرب الإسلامي مع نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م**.....
8	1-انهيار الدويلات المغاربية مع نهاية القرن 15م وبداية القرن 16م.....
13	2- مجيء العثمانيين الى الحوض الغربي للبحر الابيض المتوسط.....
16	**المبحث الثاني:التواجد الاسباني في سواحل شمال إفريقيا**.....
16	1-إسبانيا المسيحية من عهد الممالك الى عهد التوحيد.....
18	2 -دواع الحملات الاسبانية على بلاد المغرب الاسلامي.....
23	3 -النزعة التوسعية الاسبانية على ثغور الحوض الغربي للمتوسط .....
	الفصل الثاني:جهود الإخوة بربروس في تأسيس إيالة الجزائر
34	**المبحث الأول:جهاد الإخوة بربروس في طرد الإسبان**.....
34	1-محاولة تحرير بجاية 1512م وتحرير جيجل 1513م.....
40	2-محاولات تحرير بجاية "1512-1514م".....
45	3-استنجاد أهالي الجزائر بالإخوة بربروس 1516م.....
41	4-ضم تنس ومحاولة تحرير تلمسان 1518م.....

المبحث الثاني:دور خير الدين في تأسيس إيالة الجزائر.....	49
1-انضمام الجزائر للخلافة العثمانية.....	49
2-حملة دييغوا دي منكادا 1519م.....	51
3-القضاء على التمردات الداخلية.....	52
4-تحرير قلعة البنيون من الوجود الاسباني 1529م.....	55
المبحث الثالث:تنامي قوة الجزائر واشتداد الصراع العثماني الاسباني"1531-1535"	59
1-حملة أندريا دوريا على شرشال1531م.....	59
2-صراع خير الدين و شارلكان على تونس"1534-1535م".....	6 0
الفصل الثالث:حملة شارلكان على الجزائر1541م وإنعكاستها:	66
المبحث الاول:حملة شارل الخامس وانكسارها.....	66
1-دوافع واستعدادات الحملة من الجانبين.....	66
2-المعركة الحاسمة وهزيمة شارلكان.....	70
3-نتائج الحملة على الجانبين.....	74
المبحث الثاني:انعكاسات الحملة داخليا:.....	75
1-التحرير تلمسان 1554م.....	75
2-تحرير بجاية 1555م.....	79

3-تحرير مستغانم 1558م.....	82
إنعكاسات الحملة على إقليمي تونس وطرابلس الغرب:.....	87
1-تحرير طرابلس الغرب 1551م.....	87
2-تحرير تونس 1574م	91
3-الخاتمة	97
الملاحق	102
بيبليوغرافيا البحث.....	116
الفهرس العام.....	125